حاجة الامة الى مفكرين

سئلنا مراراً : « ما حاجة العرب في هذا الزمان ليقدروا على الخروج من هذه الظلمات التي يتخبطون في دياجيرها ويكادون يهلكون فيها ؟ » .

فكان جوابنا ، وما يزال ، اننا في حاجة ليس بعدها حاجة الى قادة فكر « مكرسين » يحيون لغاية واحدة هي الخروج بامتهم من التيه الفكري الاجتماعي ـ السكياني الذي هي الآن فيه ، ويسيرون بقافلتها الى ارض الميعاد ارض الحرية والعزة القومية والاخاء والرخاء .

فنحن لو جئنا ننظر بانصاف الى حاضر الشعوب العربية لرأيناه يكاد يكون قاحلا ماحلا بقادة الفكر العظام خصباً بكثير من الزعماء المشعوذين المتاجرين بكل قيمة روحية ، المصابين بقصر نظر روحي لا يمكنهم من مرأى شيء ، ايا كان نوعه او اياً كانت فائدته ، اذا لم يكونوا هم قطب رحاه او نقطة دائرته .

ان الشعوب العربية في حاضرها مفلسة افلاساً لا مثيل له في زعامتها لا السياسية فقط بل بما هو شر من ذلك بكثير ، انها مفلسة في زعامتها الفكرية واذا كانت الامة مفلسة في زعامتها الفكرية فمعنى ذلك انها حتماً مفلسة في زعامتها السياسية والاجتماعية والعمرانية ايضاً . لان الساسة في جميع العصور ليسوا سوى سيوف آراء المفكرين في امتهم . انهم منفذو فلسفات المفكرين الاجتماعية والعمرانية وسواها .

فحاجة الامة العربية في شتى اقطارها هي اذن الى فئة مفكرة تكرس حياتها لدرس آفات امتها ووضع الاسس السياسية ـ العمرانية لابتناء كيان حر جديد .

هذه الفئة المباركة ينبغي ان تتحدى الشقاء والعذاب والشماتة والحرمان في سبيل خير امتها العام . وان تحول شقاءها الخاص الى هناء امتها . وان تجد حبها الاكبر في حب حرية امتها ومصالحها ، وغناها الذي لا يفنى في خلق اسس تبني عليها فتوحات امتها في ميادين العمران والامجاد .

اجل اننا معشر عرب هذا الزمان في كل مكان في حاجة الى قادة فكر جريئين يحملون امامنا مشاعل التحرر ولا يبالون بالابهة الفارغة ولا بالسيارات والقصور واكتناز المال بل بتوجيهنا توجيهاً قومياً ـ انسانياً سامياً لمعانقة الحرية والظفر .

وكما ان البعض من الناس يزهد في الحياة الدنيا ويكرس نفسه لخدمة مذهب من المذاهب الدينية هكذا ينبغي ان يكرس البعض من احرار العرب الاحياء نفسه لخدمة امته فيطهرها من الطغاة والبغاة والفجرة ويقودها الى حيث ينتظرها المستقبل الرغيد الباسم .

والى ان تظهر هذه الفئة المباركة وتمسك الشعوب العربية بايديها ، ستبقى كما هي اليوم ، تتخبط في ظلمات الجهالات والعبوديات .

واشنطن　　　　　　　　　　　　　　　　راجي ظاهر

من وحي جدة

القوتان الدافعتان

بقلم فؤاد صروف



أنا جالس امام المذياع* في محطة جدة للاذاعة اللاسلكية ، وقد عرتني هزة ساعة جلست كما انتفض العصفور بلله القطر ، وقد جلست من قبل امام المذياع في محطات مصر وبيروت ولندن ولايك سكسيس ، فلم احس بما احس به الساعة هنا . وليس هذا بالغريب . فقد هبطت ارض الوحي والرسالة ، فاخذني الخشوع ، ورايت فيها امارات البعث الجديد تنبع من الرسالة القديمة المتجددة الخالدة ، وتستند اليها ، فاخذني الاعجاب، ففي هذه الارض الكريمة اري، كيف ادرت النظر، اصول القوتين اللتين تدفعان الحياة دفعا الى امام.

قبيل مغرب الشمس ، امس ، زرت المزرعة التي تقع عند الكيلو العاشر خارج جدة، على الطريق الى مكة المكرمة، فرايت كيف تخرج المياه العذبة والعناية الابوية بالزرع ، اشتاتاً من نبات الزهر والظل والثمر ، وقد قيل لي انهم سيجعلون اسمها « المزرعة النموذجية» ، فهذه صفتها ، ولكني احب ان اقترح — ان حسن مني ان اقترح — ان تسمى « المزرعة العزيزية » ، فهي دلالة حية متجددة سنة بعد سنة على كر الايام ، على عناية صاحب الجلالة الملك عبد العزيز باستخراج كنوز هذه الارض وجعلها متاحة بين ايدي شعبه ، حتى تتوفر لهم حياة افضل واكرم .

وقبل زيارة المزرعة زرت المعبر والرصيف الجديدين لميناء جدة ، ورأيت حركة البنيان والعمران في الشوارع المؤدية اليها وعند نهاية الرصيف ، فلمحت في ذلك وفي ما رأيته من قبل مرفأ ورصيف في الدمام على ساحل الخليج الفارسي ، ومن سكة حديدية تمتد من الدمام الى الرياض عناية الحكومة ونشاط الشعب ومعاونة الشركات المختصة في ارساء دعامة اخرى من دعامات الحياة القومية في هذا العصر ، فقلت في ذات نفسي بارك الله في كل رجل عامل يحسن عمله ويتقنه ان الله يحب المحسنين المتقنين.

وقبل ذلك قضيت اياما اتنقل زائرا الجانب الشرقي والشمالي من المملكة ، فرأيت فيها ماوقع في نفسي اعظم موقع. رأيت الآبار التي يخرج منها الزيت ، والمصانع ذوات الابراج التي يجمع فيها حتى يفصل منه الغاز الذي يختلط به ، والمعامل التي يصفي فيها ، والانابيب التي تنقله الى حيث يصفى او حيث يشحن ، ومحطات الدفع في الشمال على خط الانابيب الممتد الى ساحل لبنان ، وكيف صارت كل منها ، او كيف كل منها خليقة ان تصير ، بلدة حديثة في قلب الصحراء ، رأيت كل ذلك فأعجبت بالهمة وبالمجهود وبالنظام ، ولكن ذلك على عظمته وروعته لم يقع في نفسي الموقع الاول ، بل الذي وقع الموقع الاول في نفس عربي ينظر الى مستقبل الامة العربية نظرة يمليها العقل ويملؤها الايمان ، هو ما شاهدته بام العين من اخوان في العروبة من ابناء هذه البلاد ، صاروا بعد سنوات قلائل من التدريب يحسنون ويتقنون ضروباً من الحذق الفني ، هو في رايي بشير بيوم جديد . رايتهم يتولون اللحام الكهربائي بايد واثقة مما تصنع ، ورأيتهم على رؤوس الابراج التي يتخذها الخبراء لامتحان تركيب الارض تحت سطحها ، ورأيتهم في المصانع والمكاتب يتعهدون الاعمال الفنية ، في عيونهم بريق ، وفي سواعدهم قوة ، ولست اشك في ان قلوبهم عامرة بالرجاء في المستقبل ، والايمان بحسن مصير هذا الشعب الكريم والامة العربية جمعاء .

كل نهضة صحيحة صادقة ترتد الى اصلين من اصول الحياة . اما الاصل الاول فهو الفكر الذي يصور الغايات التي تحدى اليها الركائب ، ومنه تنبع القوة المحركة التي تدفع الى العمل ، وعلى

* زار الاستاذ فؤاد صروف مدينة جدة أخيراً واذاع منها هذا الحديث النفيس

هديه يخط الطريق القويم . والفكر لا ينفصل عن صاحبه . فقد يكون من رسل الهداية او من فطاحل العلماء او الفلاسفة ، او من عظماء الملوك والقادة الذين يرسلهم الله في الحين بعد الحين ، ليرد بهم غياهب الغي ، ويشق بهم طرق الوحدة والقوة والتقدم .

واما الاصل الثاني ، فهو البيئة الاقتصادية الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الناس فكل ما يحدث في هذه البيئة تغييراً اصيلا في استنباط موارد الرزق ، او تبديلا عظيما في اساليب الزراعة والصناعة او تقدما واسعا في الحذق والقدرة على استغلال موارد الطبيعة وانمائها ، يغير الاحوال التي يعيش فيها الناس ، فاذا مستوى حياتهم اعلى ، وصحتهم اوفر ، وعلمهم اوسع ، وثقتهم بالنفس اعمق واعظم ، وهذه لعمري هي قوام الحياة الدنيا .

وبين الاصلين تفاعل وتكامل . فالبحث النظري في كثير من العلوم افضى على الزمن الى عجائب المخترعات التي يسرت الحياة ، اي ان اصل الفكر افضى الى اصل التغيير الاقتصادي . وارتقاء الصناعة ، الذي نشأ من تقدم العلوم الطبيعية ، افضى بدوره الى النظريات المختلفة المعتدلة والمتطرفة ، في نظم الحكم والاجتماع ، اي ان التغيير الاقتصادي افضى الى التطور الفكري في الاجتماع والسياسة .

ومن حسنات الدهر على هذا البلد الكريم ان اجتمع له هذان الاصلان معاً ، في فترة واحدة نادرة من الدهر . فعلى رأسه ملك جليل احتوى في شخصه من صفات العقل والنفس ، ومن الحكمة والباس والرحمة ، ما يجعله بطلا عظيماً من ابطال الاساطير ، ولكنه ملء السمع والبصر والنفس اطال الله عمره ، فقد بنى هذا الملك بيده حجراً حجراً ، ورسم له بفكره الطريق الذي يسير فيه ، واحاط شعبه برحمته وبعدله ، ونفث في ابنائه الامراء الكرام ، ورجال حكومته روحاً لا يثنيها الرضى والقنوع عن طلب ما هو خير وافضل ، ولا يغريها الطموح الى ذلك بان تبت الآصرة التي بينها وبين الاصول والجذور المتمكنة في ثرى ارض الرسالة .

وقد كان هذا شيمة عاهل الجزيرة العظيم ، قبل ان يجتمع العلم والمال والهمة والحذق على استخراج الكنوز الكامنة في جوف ارضه ، فلما استخرجت ادرك جلالته من فوره بما فطر عليه من النظر النافذ وما فطرته التجربة في نفسه من الحكمة ، انها الوسيلة المطلوبة ، وسيلة يتخذها لتحقيق المنى التي تمور في صدره وتضطرب في خاطره من اجل خير امته . وقد كان السيف من قبل وسيلة فبناها والقنا يقرع القنا ، على حد قول ابي الطيب المتنبي ، فلما استقر الملك ، صار للبنيان والعمران وسائل اخرى ، وما تدره آبار الزيت ، ليست سوى واحدة منها وان كانت اوفرها واجداها .

وباجتماع هذين الاصلين من اصول العمران ، سارت المملكة العربية السعودية قدماً فاذا انا اشاهد ما ذكرت على سبيل التمثيل دون الحصر ، واذا نفسي تهتز وانا جالس امام المذياع ، فرحاً واعجاباً كما انتفض العصفور بلله القطر .

على ان منطق هذا التفكير لا يقف بي عند حدود هذه البلاد الكريمة ، بل يتعداها الى شقيقاتها العربية . فالشعوب العربية قوية بما يضطرب في نفوسها من حوافز التاريخ ، يوم كانت معلمة الدنيا وصاحبة الصولجان ، وهي قوية بما يضطرم في نفسها من نار الشوق الى حياة اكرم واعذب . هي قوية بما بينها من روابط الالفة واللغة والجوار والتجربة التاريخية المشتركة منذ اقدم العصور . وقد اثبت العلم الحديث والاستقصاء الواسع والتجربة العملية ان موارد هذه الشعوب بين طبيعية وانسانية ، هي في المقام الاول شانا وخطرا ، فما عليها الا ان تعقد عزائمها وخناصرها على ان تضيف الى القوى التاريخية التي تربط بينها قوة اقتصادية هي في منال ايديها حتى اذا ما توائم تقدمها الاقتصادي مع سيرها في معارج التربية والعلم والتجربة السياسية ، فقد انقادت لها الاسباب التي تجعلها كتلة تحاذر او يخطب ودها في مجالس الدول .

وقد يقول من تحدثه النفس بالضعف

منى ان تكن حقا تكن احسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

اما انا فأقول :

احذف كلمة الرغد من قاموسك ، انها منى تحقيقها طوع البنان ، والعبرة بالعمل ، ودعامتا العمل هما العلم والعزيمة ، اما العلم فاطلبه حيث تشاء ، واما العزيمة فاستمدها من اغوار نفسك ، ان الطريق امامنا طويل وعر ، ولكن لن يرجو امرؤ ان يبلغ الغاية ان لم يضع قدمه على اول الطريق ، ويمضي .

رحم الله رجلا قال — ان صوت اعمالك يصم اذني فلا اسمع ما تقول : وقد سمعت وقد رأيت .

القاهرة — فؤاد صروف

انطلاق !..

للآنسة فدوى طوقان

نابلس

لا تعد ، فيم عدت لي ؟ هل تبقى اليوم شيء من قلبي المحطوم
لم تدمره بالاكاذيب ، لم تسحقه بالغدر ، بالجحود الأليم ! ؟

*

كان قلبي يطير في أرفع الاجواء ، مغرى بالمأمل المكتوم
فاذكر الآن يوم أهوى طعيناً يتلوى من سهمك المسموم

*

مات حبي لما خنقت أمانيه ، فمها وجعت تحنو عليه
وتغني له شجي أغانيك ، فلن ترجع الحياة اليه !

*

في قبور اليأس العميقة واريت أماني حبي واحلام قلبي
فامض ، لا تبعث الرميم لتحيي فيه خفق المنى ونبض الحب

*

كم تجنيت ، كم جحدت عذابي وأسى مهجتي ، ونار جروحي
آه ! ، حسبي ما ذقت من قلق فيك .. فدعني انشد سكينة روحي

*

آه ! دعني انشد سكينة روحي فوق مهد الطبيعة المسحور
في صفاء الهدوء ، في الصمت ، تحنو فوق روحي هنا بنات الدهور

*

السفوح الشجراء ، والجبل الحاني ، وهذا الوادي ، وهذي الخاضر
كلها ، كلها ، أحن على قلبي من قلبك الجحود الكافر ..

*

آه ! دعني أحبها ، هي اوفى منك ، ليست تحول او تتنكر
كلما جئتها تلقت كآباتي بقلب ريان لم يتحجر ! !

*

ههنا في رحاب هيكلي الاخضر أنسى حبي ، وأنت ، ونفسي !.
ههنا استحيل ذاتاً سوى ذاتي .. فوق الالام ، فوق اليأس

*

خلني ، خلني بدنيا انفرادي أتملى توحدي واعتزالي
أتملى انطلاق نفسي وحرية روحي من اسرك القتال !

صورة وصفية

هـدى

بقلم وديع فلسطين

هناك معضلة نفسية لست أزعم انني اقوى على حلها، ولكن لعل بين علماء النفس من يفتي فيها برأي سديد.

والمعضلة هي: الى اي مدى يتجانس الاسم مع الرسم؟ هل هناك صلة ولو واهية واهنة بين اسم المرء وطبيعته؟ هل يكون «جمال» ذا جمال؟ وهل «حليم» حليم حقاً؟ وهل «كريم» من الاسخياء؟ وهل «حامد» حامد شاكر او هو ناقم ثائر؟.

فبعض الناس بأضاد أسمائهم يعرفون وبعضهم بما تعني اسماؤهم يعرفون، ولله في خلقه شؤون، وللبشر في أسمائهم منهاج لا يخضع – إلا في النادر – لعرف مألوف او لنظام تواضعوا عليه.

ولعل في «هدى» مفتاحاً لحل هذه الأحجية الطريفة. فهي ذات جناس مع اسمها، ولرسمها طباق مع ما يوحي به هذا الاسم الحلو. وليت التقاليد تسمح للمرء بانه يخاطب الناس جميعاً باوائل أسمائهم، فلا يلحقها بالقاب تجعل منهم سادة وذوى عزة وسعادة ومعال، ولا يذيلها برتب تنشىء برازخ بين الناس وتجعل منهم طبقات، لهم طبقة عليا واخرى دنيا وقد تتوسطها ثالثة بين بين.

ليت الفوارق تزول فاخاطب «هدى» باسمها مجرداً. ولكن ما حيلة المرء والبيئة تفرض عليه أحكامها مهما حاول أن يفلت منها، والتقاليد تحتم عليه أن يقرن كل اسم بصفة ما أو بلقب ما، سواء استأهله صاحبه أو لم يستأهله. وما أكثر نفاق المنافقين في خلع الالقاب والرتب ارتجالا حتى بات المقفرون من زخارف الاسماء – مثلي – بكوات وباشوات ودكاترة وسائر اخواتها.

«هدى»، مكانها الاول دارها. فهو جنتها، وهو دنياها، ولكن هذا الفردوس لا يشغلها عن المجامع التي تستهدف خدمة عامة، فهي رائدة من رواد أعمال البر، لا تنشد من ورائها شهرة تذروها الريح، ولا هي من طلاب المديح ما كان منه غثاً أو سميناً، بل تؤثر أن تعمل بمنأى عن الاضواء عملا صامتاً جاداً نشفق عليها منه.

والمرأة إذا آثرت المكث في الدار، صارت أحد أمرين: إما طاهية تجيد الطهي وإما سيدة ذات ذهن مترهل بدين بليد لا تعرف من الدنيا إلا ما كان يمت إلى الحاجات الفطرية بسبب. ولكن «هدى» تقسم وقتها بين رعاية طعام الذهن وطعام الجسد، فلا يفوتها ان تقرأ كتاباً ذا شأن، ولا يضيع عليها ان تتبع الصحف وما ترويه على السنة الزعماء والساسة، ولا تفلت منها محاضرة تود ان تصغي اليها، ولا تفوتها مناسبة من الاعياد الا احتفت بها احتفاء كريماً، ولا تضن على الطارقين لباب بيتها بقدح اجيد صنعه من شرب الشاي او كعكة انفق في اعدادها كثير من سلامة الذوق وحسن السبك. وهي تستقبل زوارها بوجه بهش فيميط اللثام عن عقد نضيد من العاج في ثغر قليل ان نصفه بالجمال.

لله در «هدى» كم تتشعب احاديثها، وكم تتأنق في اختيارها وتوجيه دفتها؟ ولكنها في كل ما تقول تقوله في اخلاص لا يعوزه برهان وفي تهذيب ليس بدعاً على من اخذت نفسها بالتعليم الراقي والنضج العقلي والاختبار الراجح الغنم. وحديثها در منثور، فيه استشهاد با يات البيان من افواه مفكري الشرق والغرب معاً ولكم ترنمت باغان لشعراء قدماء ومحدثين لتعبر عما تروم اذا ارتأت استعارة كلام الآخرين، وكم ساقت الحكم عفواً لان لسانها يدور وحوله لجم من الثقافة والذكاء والألمعية والاخلاق.

لله در «هدى» فقد عرفت كيف توفق بين المثليات التي دعا اليها المفكرون العقليون والروحيون، وبين الواقع الذي حتم علينا ان نصدع لحقائقه ونذعن لفروضه. فحياتها اذن لون من ألوان التوفيق بين آفاق خيالية لا تحد، وبين آفاق اخرى واقعية لا تحصر، وهو توفيق يحمد لها وتغبط عليه لأنه يهون كثيراً من معضلات الحياة ويحل وفرة من غوامض يحار العقل في تعليلها

عـرزال

عرزالنا معلق يموج فيه الىبق
صنوبرات المنحنى تضمه وتشفق
اغصانها ميادة من فوقه تعتنق
مراوحا من مخمل تظله وتخفق !
عرزالنا في جنة من طيبها تحترق
عش يمام هزه نسيمنا المصفق
ونحن فيه نهم واضلع تلتصق
لحظ بلحظ وفم يموت فيه الرمق
امامنا زرق المسافات وافق مطلق
وقاطفات رجت بها تموج الطرق

وقربنا راع الى حيث الهوى ينطلق
يحنو على شبابة تذوب فيها الحرق !
وفي الفضا عصفورة رفافة تزقزق
وههنا ساقية امواهها ترقرق
بقربها فلاحة يشكو الهوى فتطرق
وتطلق «الاوف» فيهتز الفضاء الازرق!
عرزالنا في تيه ارجوحة تحلق
تسمو الى حيث الغيوم الخضر، حيث الشفق

فؤاد الخشن

وتفسيرها . وفي اعتقادي أنه لا بد لكل امرىء من ان يهادن كثيراً لكي يبلغ بعض ما يرتجي ، لأن الكمال المطلق بعيد عن مدارك البشر ، ولان الكفاح المستمر قد يقضي على ذويه او قد يقصر بهم عن بلوغ مأربهم . فالمهادنة سبيل وسطى ، يتخيرها المرء ليوفق بين رؤى يتعذر تحقيقها ، وبين واقع يصدم بمفاجآته واعاجيبه.

لله در « هدى » اذ تجد نفسها اختاً للجميع وترتب لنفسها فروضاً والتزامات تنهض بها بوازع من ضميرها وحافز من نفس اشربت حب الخير المحض ، فهي في استفسار دائب عن كل ذي رفقة ، وما ابلغ امارات الاسى تبدو على محياها اذا سمعت بمكروه حل بصديق، او اذا اتاها نبأ لا ترتاح اليه عن ذي وشيجة . ذلك لان « هدى » انسانية النزعة والمنهج ، تروم للناس جميعاً ان تسعد ، وتحب ان تشارك الناس بهجات قلوبهم ، وتتطلع الى ان يسود الخير البشرية جمعاء . واذا اخلص المرء قصده، امكنه ان يحب بلا قيد وبغير ارتقاب جزاء . يحب الخير لغيره قبل نفسه ، ولجاره قبل ابنه، ويجعل نفسه في مؤخرة الصفوف منكراً كل فضائله مستهيناً بجميع مزاياه

لله در « هدى » تشيع المسرة اينما ذهبت ، وتنشر البهجة في كل مجتمع توسطته . فذوقها سليم يتحدى ، وحديثها طلي لا يفقد جدته ولا يبرحه مذاقه الحلو ، وعيناها تتقدان حيوية وذكاء ، وذهنها لماح قل ان يمرق امامه ما لا يلحظه ، ووجدانها حي متيقظ متحفز ، وروحها تجمع بين السذاجة الحسنى والذكاء المفرط وشعاب قلبها حنان ينبع من معين لا ينضب، وحياتها بنيان مستمر يمقت الهدم ويزدريه

هذه فاضلة من اللائي يفوق ثمنهن اللآلي — اذا صح الحكيم سليمان ان نقبس منه آيته — لانها ترسم خطى الساعيات للخير ، ولانها رأت ان تشرك الناس في سعادتها حتى لا تستأثر بهذه السعادة لذاتها .

وليست « هدى » عبدة للجماعة ، تأمر بأمرها وتسير وفق نواهيها وأوامرها، ولا ترضى ان تتكيف حسبما يراد لها ، بل انها تستعبد المجتمع من حيث انها تفرض عليه سلطان شخصيتها ومن حيث انها تدخل عليه من التعديل ما يجعله اكثر مطاوعة من قبل لأهدافها وآمالها . وهنا تختلف الناس ، فمن الناس من يدع الجماعة تستعبده وتذله ، ومنهم من يعلو على سلطانها ويتحدى ناموسها ويؤثر فيها تأثيراً ناجعاً . و« هدى » هي من الصنف الثاني الذي يصر على ان يثبت وجوده ، ويصر على ان يثبته بالكيفية التي يهواها، ويصر على الا يكون واحداً من جماعة لا يحسب له حساب فيها.

ان « هدى » تهدي وان لم تأمر ، وترشد وان لم تنه. وقد عملت بالتدريس آناً فتدربت كيف تكون التربية الحديثة مشربة بالسماحة مع الزجر ، بالتهاون مع الردع ، وبالنصيحة التي تساق عرضاً ولا تفرض فرضاً . ونحن في حاجة الى مثل هذا الخلق الأصيل الذي نفتقده كثيراً في المجتمع المعاصر ، لان المرأة صارت اما عصرية متطرفة في عصريتها ، واما متحفظة غالت في تحفظها . وكلتاهما غير ذات نفع للجماعة البشرية . اما المرأة التي تتوسط الطريقين ، وتحتفظ بمزايا المنهجين ، وتقوم بالتزاماتها تجاه البيت والمجتمع والوطن ، وتؤدي الفروض كاملة اذا رأت فيها صواباً... فانها المرأة التي نريد لمجتمعنا كثيرات من اترابها لنرقى بالاخلاق ونرقى بالحياة وندرك القيم التي اهملت في اعتبار كثيرين .

لله در «هدى » ، ففيها يصدق ما قاله مطران في ميتها هدى شعراوي :

هدى بلغت بما أبليت منزلة
عصماء خالدة الذكرى على الحقب .
ان حزت اعلى وسام للكمال ففي
كل القلوب لك العليا من الرتب

القاهرة — **وديع فلسطين**

نكبة البرامكة

بقلم جرجس كنعان



على ضفاف الرافدين وبفخامة الملك وقوة الجبروت في ظل الحضارة وتحت سيوف البطش والقوة وبقدسية الخليفة الكسروية قامت دولة بني العباس واستقرت وتضخمت وسمت الى أوج العظمة والتفوق وان لم يكن لها من اتساع رقعة الخلافة الاموية فقد كان لها من التنظيم وسهر الخلفاء الاول وضبطهم ما يعيضها عن هذا المغرب والاندلس. طال زمن الخلافة قروناً اختلفت فيه رفعة وضعة وتقلبت في ادوار الحياة من الطفولة الى الشباب الى الكهولة الى الهرم وبالطبع لا يعنينا الان الا دور شبابها الزاهي ورونقها الانيق وبعد صيتها في زمن اعظم خلفائها وابعدهم صدى قطب قصص الف ليلة وليلة ومحور دائرة الشعر العباسي هرون الرشيد بن المهدي بن ابي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

الخلافة

هذه دولة جديدة تباين الدولة الاموية في كثير من مظاهرها ونحن نوطيء للبحث بالاجتهاد والرجوع الى امهات كتب الباحثين من العرب وغيرهم راجين ان يكون حكمنا عادلا بعيداً عن الهوى.

كان الخليفة قبل هرون الرشيد القائم بأمر دين الله مسترشداً بالكتاب والسنة في امور دينه ودنياه. العدل منهم يسير بالاحكام التي رسمها الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز والاخر يسير بسيرة الوليد بن يزيد وبينها من يختلف صعوداً او صبباً. ومرجع الجميع الاحكام والسنن العربية الاسلامية فجاءت الخلافة العباسية الجديدة وقوامها هؤلاء الموالي ووزراؤهم هؤلاء الاولى تشبعوا بالكسروية وقد كانوا مربي هؤلاء الخلفاء حتى ان الرشيد كان يدعو وزيره يحيى بن خالد بـ« يا ابي » والنفس تميل مع الهوى وخاصة اذا كان لها من يسهل الطريق فما برحوا يقتربون من هذه الكسروية منذ المنصور حتى بلغت اشدها عند الرشيد ونقصد بهذه الكسروية ان الخليفة هو صوت الله الحي وأنه مصدر القانون. لذلك كان الرشيد المسلم الخليفة مع حرصه على اقامة السنن لا يتحرج ان يسير على هواه وان كلمته كانت شرعاً وهذه الحقيقة على مرارتها توضح لنا كثيراً من مظاهر حكم هذا الخليفة العظيم.

الوزارة

هذا نظام جديد في الدولة العباسية وان كانت « وزير » قديمة فقد جاء لها ذكر حتى في سقيفة بني ساعدة. قالوا منكم الامير ومنا الوزير. ولكن لو تتبعنا التاريخ لم نجد للوزارة والوزير هذا المعنى الذي استحدثه العصر العباسي فقد أصبح الوزير ركناً من أركان الدولة لا يستغنى عنه وربما كان في وقت ــ كما جرى لجعفر بن يحيى زمن الرشيد والفضل بن سهل زمن المأمون ــ يمضي في كل شؤون الدولة. هؤلاء الوزراء كانوا يد الخليفة ووجهه الظاهر أمام الرعية ولا بدع فقد كان بشار يقول: « ان الخليفة يعقوب بن داود »

ويعقوب هذا وزير المهدي ولكن هؤلاء الوزراء لم يكونوا يوفقون في أمر هذه الدولة حتى قيل فيهم :

«. . . . . . . أودى ، فمن يشناك كان وزيرا»

فقد قتلوا جميعهم بوجه التقريب من أبي سلمة الخلال الى جعفر البرمكي وقبل ان نتعرض لمثل هذه الاسباب أرجو ان ننتبه لحقيقة أخرى :

الحزب الطالبي

كان حكم بني أمية حكم العرب وكانوا يسوسون الرعية بسياسة معاوية وشعرته المعهودة «لو كان بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت أن شدوا أرخيت وأن أرخوا شددت» ولكن معظمهم لم يكن يرى هذه السياسة في جميع شؤون الدولة مجدية فقد كانوا يتساهلون في كل شيء، الا في الخيانة العظمى وهي تعني قديماً خيانة البيت المالك لان الخليفة كان الدولة والدولة كانت الخليفة ، فكانوا لا يتورعون عن قتل أولاد النبي واولاد عمه وآل بيته ولما قامت الثورة العظمى كانت الدعوة لآل البيت وانتصروا وهم لا يفسرون هذه الكلمة . ولما قامت الخلافة رأينا الظافرين يضعون حداً لها فنهم من يقول البيت بيت النبي وآل الرسول ومنهم من يقول البيت بيت هاشم وأهم أركانه البيت العباسي لان العباس كان لم يزل حياً عند موت النبي وقد قال ابن أبي حفصة :

أنى يكون - وليس ذاك بكائن - لبني البنات وراثة الاعمام .

وهنا ظهر بنو العباس الخلفاء ، وكان هؤلاء ، ولا مناوىء لهم غير هؤلاء الطالبيين واذا علمنا ان المنصور مؤسس الدولة العباسية الحقيقية هو نفسه بايع زمن المحنة محمد بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية نعلم مقدار هذه الخلافة في بني العباس لذلك كان هؤلاء الطالبيون يرون انهم احق بالخلافة من بني العباس وكانوا يثورون عليهم وأول هذه الثورات قام بها محمد بن عبدالله بالمدينة وأخوه ابراهيم بن عبدالله بالبصرة زمن المنصور وقد سامهم كل عسف حتى روي ان محمد بن عبدالله نفسه لما سمع رثاء بني أمية بكى، فلامه عمه الحسن بقوله : أتبكي على بني أمية وانت تريد بني العباس . ما تريد فقال : « والله يا عم لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا في بني العباس الا أقل خوفاً لله منهم وان الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم ولقد كان للقوم أخلاق ومكارم ليست لأبي جعفر » .

هذا يقوله رأس الحزب الطالبي في زمن المنصور ولكن دعبلا يزكي هذا القول زمن المأمون :

قتل وأسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر

وهكذا نرى تاريخ هذه الحقبة الزاهرة من ملك بني العباس ثورات الطالبيين والفتك بهم الفتك الذريع وعلى هلاك الطالبيين يتوقف ملك العباسيين هذا كان من البدائه المعلومة :

سياسة الخلفاء

قلنا إن سياسة بني امية كانت تقوم على اللين في موضع اللين والشدة في موضع الشدة ، اما سياسة بني العباس فكان عنوانها وصية الامام ابراهيم بن محمد لابي مسلم رأس الثورة والدعوة العباسية : «واقتل من شككت فيه» لذلك كان قليل من الاغراء يدعو الى الشك، فالى محو من تقع عليه العين من خصوم الخلافة وبهذه السياسة قتل ابو مسلم ابا سلمة الخلال وزير آل محمد وقتل المنصور أبا مسلم الخراساني وقتل قائد الخلافة الاعظم عمه عبدالله بن علي، وقتل ولي عهده عيسى بن موسى وقتل ابراهيم ابن عبدالله . وفتك المهدي بالزنادقة لانه كان قد ارتاح من اعداء الخلافة السياسيين ونكب وزيره يعقوب بن داود لميله الى الحزب الطالبي وقتل ايضاً وزيره الآخر أبا عبدالله .

وبهذه السياسة قتل الهادي الحسين بن علي الطالبي . ولا يسعني الا ان اقول وكانت هذه السياسة نفسها التي ذهبت بالهادي وان أمه الخيزران كانت السبب .

آل برمك

يؤخذ من اقوال الباحثين ان كلمة برمك هي لقب اتخذ لرتبة دينية في مذهب الفرس او بالاحرى مذهب الهند ، وبرمك ، او البرمك جد هذه الأسرة التي انتجت اول الوزراء الفرس للعباسيين ، كان يخدم (النوبهار) ببلخ وكان يستولي على هذا الوقف وبقي له حتى في الايام الاخيرة وربما كان هذا النوبهار الذي ترجم عن السنسكريتية (الدير الجديد) هو دير بوذي وقد كانت البوذية قد اتصلت بشرقي الفرس وان الفرس لم يعرفوا الاوثان . وبالاتفاق ان (النوبهار) كان بيتاً للأوثان والهام الآن أننا نرى خالد بن برمك عند السفاح مشيراً ويظن انه كان وزيره ولكنه كره لقب وزير بعد مقتل وزير آل محمد أبي سلمة الخلال وقول الشاعر :

ان الوزير ، وزير آل محمد أودى ، فمن يشناك كان وزيرا

وخالد هذا كما هو معلوم ممدوح الشعراء الذين غير اسمهم

من السوال الى الزوار .

وهكذا نجد يحيى بن خالد مقرباً الى المهدي تقريباً شديداً حتى انه سلم ولده الرشيد لامرأة يحيى زبيده بنت مغير ام الفضل فأرضعته وكانت ظئره وأرضعت الخيزران زوجة المهدي الفضل بن يحيى مربي الرشيد. وسبب خلافته فانه لما هم الهادي بخلعه هداه يحيى وشجعه فلم يستقل وبحسن تدبيره صرف الهادي عن خلعه وكان لما أصبح الرشيد خليفة أصبح يحيى هو المدبر وهو الوزير الاكبر واتخذ الرشيد اولاد يحيى وزراء وقواداً في جميع شؤون الدولة وولاهم الدواوين والولايات وأقطعهم الاقطاعيات الواسعة ويتضح عظيم نفوذهم بالدولة مما وصل الينا من قول الشعراء فقد قال سلم الخاسر :

اذا ما البرمكي غدا ابن عشر فهمته وزير او أمير

وكان يحيى يكنى بأبي الاملاك وهذا ابن خلدون النقادة يقول : « فعظمت آثارهم ــ البرامكة ــ وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوا عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم . يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح . »

وهذا يكفي في اظهار عظمتهم . ولكن كان من سياسة الرشيد الداهية ان لا يثبت على حال فكان يسرع في تغيير هذه المراتب فمن الفضل الى جعفر ومن ولاية خراسان الى ولاية مصر ومن قيادة جيش الى ديوان الرسائل. تلك وان كانت سياسة الدولة العباسية الا انها ظاهرة أتم ظهور في سياسة الرشيد ومع ذلك دام ملك دولة البرامكة سبع عشرة سنة .

هرون الرشيد

هذا الخليفة جمع كثيراً من الاضداد باختلاف الروايات والرواة ، ولكنه كان أعظم خلفاء بني العباس قاطبة كان يغزو وكان يحج وكان يتفقد شؤون الدولة والرعية بنفسه فقد قال فيه السيد « امير علي » في فصل ممتع : « فانه مع هذه السلطة غير المحدودة كان كبحه جماح اهوائه وتضحيته في ايثار المصلحة العامة وعنايته لمنفعة الرعية عنوان عبقريته فلم يكن يعرف هوادة في قضاء أقل واجب يجوب اقطار مملكته الواسعة من الشرق الى الغرب يعالج مساوئها ويصلح أخطاءها ويتعرف شخصياً الى كل ما يهمها الخ ... »

ومع كل ما كان ليحيى بن خالد واولاده وايثاره جعفراً على سواه يعرف كيف يحفظ مقامه وكيف يدل بالخلافة الكسروية فقد ذكر الطبري ان جعفراً بعد ان عاد من الشام وقد أصلح بين النزارية والقحطانية دخل على الرشيد وخر امامه وقبل يديه ورجليه ثم مثل بين يديه ثم اورد الطبري كل ما يدل على أدب جعفر امام الرشيد وكذا يروى عن يحيى نفسه كيف كان يتضع للرشيد . وبالطبع هذه من آثار الكسروية اما موقفه من جعفر وغير جعفر من الغناء والشرب والتبذل ففيه نظر يرجع الى هذه الاقاصيص في ألف ليلة وليلة وفيها ينسب الى ان أبا نواس كان شاعره ونديمه وقد ثبت للمحققين انه لم يتصل بالرشيد صلة شعر وقد لا يكون دخل بلاطه . ولذلك وجدنا عندما قام يحيى ابن عبدالله بن الحسن اخو محمد النفس الزكية الذي قام ايام المنصور بالدعوة ، وجه اليه الرشيد الفضل بن يحيى وبذل من الاموال ما مكنه من استنزاله على أمان وقمع الثورة والعصيان بالحرب والاغراء واكرم الفضل كل الاكرام لتوفيقه هذا .

ولكن لما اصبح يحيى هذا في بغداد وأمن جانبه استفتى في أمر الأمان وحمل أحد الفقهاء أبا البحتري ان ينظر بالامان فقال أبو البحتري هذا الامان منتقض في وجه كذا وكذا فقال الرشيد انت قاضي القضاة وانت اعلم بذلك ومزق ابو البحتري

الامان وتفل فيه .

وبالطبع سجن يحيى وسلمه الى جعفر لوثوقه منـه ليعذبه ولو جئنا نتتبع جميع مواقف هرون الرشيد وسياسته لضاق بنا المقام ولـكنها كلها تقع على الشدة والحذر والفتك ولذلك قال فيه (ميور) Muir الانكليزي ان هرون لحري ان يكون في الذروة مع خيار أفاضل الملوك من بني أمية لولا شائبة القساوة المنطوية على الختل التي وصمت بها سيرته جمعاء .

وقبل ان نصل الى نكبة البرامكة يجدر ان نقدم واقعـة لها أثر في النكبة وهي نكبة عبد الملك بن صالح بن علي بن عبدالله ابن العباس . فقد كان هذا الامير العباسي مجفواً قد أبعـده الرشيد عن القصر فدخل يوماً على جعفر الوزير في ساعة سرور واتاه في أمره فضمن له جعفر رضا الرشيد عنه وقلد ابنه ولاية مصر وزوجه بابنة الرشيد العالية وذلك بدون معرفة الرشيد ولما اطلع الرشيد على ذلك أقره جميعاً حتى تزويج ابنته (عن ابن طباطبا في الفخري) .

نكبة البرامكة

بعد سبع عشرة سنة في عز وصولة وغنى وجاه وفي سـنة ١٨٧ هجرية امر الرشيد بقطع رأس جعفر وصلبه على الجسر وشطر الجثة شطرين وصلب كل منها على جسر آخر في بغداد والقي القبض على يحيى والفضل وجميع آل برمك ونكبهم عالهم وعقارهم وضياعهم وكل مالهم وبعد ان ثار عبد الملك بن صالح لطلب الخلافة لم يرحم الرشيد احداً من البرامكة فقتل يحيى والفضل ولم يقبل فيها شفاعـة أحد حتى أسنانه التي حفظتها ظئره ام الفضل وحبسها هي نفسها واستباح دورهم ومنع الشعراء من رثائهم (بتحفظ) وهي نكبة عظمت في التاريخ وفي الادب العربي وبالطبع بالروايات وأقوال أهل الاحزاب وكان خطرها عظيما بعظمة هؤلاء البرامكة فما سبب هذه النكبة ؟

اسبابها

نرجع في ذكر الاسباب الى كتب اللغة والأدب ونبدأ بكتاب الطبري وهو اقرب المؤرخين الى هذا العصر فقد ختم كتابه بسنة ٣٠٣ هجرية والحادثة وقعت سنة ١٨٧ هجرية فتقول انه حصرها في امرين بعد ان وطأ لهذا الذكر من انتقاص الرشيد لامر يحيى ابن خالد وامر الغلمان بان لايقفوا له وتقريعه كفاية عندما دخل عليه يوما بحضور بختيشوع ثم رجوعه واعتذاره. والثانية وعظ الفقيه المحدث محمد بن الليث للرشيد وحبس الرشيد ابن الليث لما ذكر ظلم البرامكة ثم اخرجه من السجن قبل النكبة بقليل كل هذا يتضح منه تغير قلب الرشيد على البرامـكة ثم يورد سببين :

الاول يرويه ابو محمد اليزيدي النحوي المقرب الى الرشيد واولاده وهوهام وسنرجع اليه وخلاصته ان الرشيد لما نقض عهد يحيى بن عبدالله الطالبي سلمه الى جعفر بن يحيى الوزير ليسجنه وان جعفر هذا رق للطالبي واطلقه خفية عن الرشيد ولما علم الرشيد بذلك دعا بجعفر وسأله فكذبه جعفر وقال هو بالقيود والاصفاد ثم لما استحلفه براس الخليفة اصر وقال : وحياتك ياسيدي ولـكن اطلقته وعلمت ان لاحياة به ولامكروه عنده . اظهر الرشيد سروره بذلك ولـكنه بعد ان ذهب جعفر نظر اليه وقال قتلني الله بسيف الهدى ان لم اقتلك .

والثاني ورواه احمد بن زهير وهذا مقـامه محدود وهو الذي تناقله الرواة والقصاص وخلاصته: ان الرشيد كان لايصبر عن اخته العباسة وعن جعفر فزوجه اياها على شرط ان لايقربها وان جعفر حنث بهذا الشرط وولدت المرأة ، وعرف الرشيد فقتل جعفر ونـكب البرامكة. اما المؤرخون فينقلون هذين الخبرين عن الطبري ، ويزيد ابن خلدون بقوله : انما نـكب البرامـكة ماكان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم اموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملـكه الخ ...

اما الأدب ، كابن عبد ربه فقد زاد ان حساد البرامـكة اوغروا صدر الرشيد عليهم ولم يذكر هذا الايغار بل قال انه ارسل من غنت له :

ليت هنداً انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد .

قال الرشيد مري العجز الاخير .وجاء من يستند على القصة العباسية فيقول هذا ابو نواس وهو معاصر الرشيد وعارف بهذا الامر او ماكان متداولا في أيامه على الاقل يقول للامين :

الاقل لامين الله وابن القادة الساسه
اذ ما ناكث سرك ان تفقده راسه
فلا تقتله بالسيف وزوجه بعباسه

وهم يريدون ان ابا نواس يعرض بأنه جزاء من ينكث العهد ان يفقد راسه ولايخفى وورود زواج العباسة بهذا المعنى ولم يقتصر الامر على ابي نواس في ذكر العباسة وزواجهـا بجعفر وانها كانت السبب فقد اغري من جاء بعد ذلك بهذه

القصص وبنوا عليها الاقاويل ومنهم كابن خلدون من انكرها البتة وله في انكارها اقوال، اهمها ترجع الى ترفع خلفاء بني العباس وخاصة بناتهم مثل العباسة وقوله حرفياً: «وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وابويها وجلالها وانها بنت عبدالله بن العباس وليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماء الملة من بعده والعباسة بنت المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد السجار بن علي ابي الخلفاء بن عبدالله ترجمان القرآن بن عباس عم النبي (ص) ابنة خليفة اخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الهول وعمومته وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها وقريبة عهد ببراءة العروبة وسذاجة الدين البعيدة عن غوائل الشرف ومراتع الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها او اين توجد الطهارة والذكاء اذ فقد من بيتها» غير ان هنالك احالة الى قصص علية اختها مع طل وبنان وغنائها والى السيدة العظيمة ام محمد صالح وقد اصبحت زوج الرشيد وقصصها برواية عريب اقرب مقربة من البيت المالك وكثير غيرها.

ومع أن كل هذا يجري فلا أرى مبرراً للفتك بالبرامكة لو فرضناجدلا أن أحدهم جعفر اقترف ذنباً كما انه كما قال الطبري قد استثنى الرشيد محمد بن خالد لانه لم يدخل فيما دخلوا فيه ولم يذكر شيئاً مما دخلوا فيه وخرج منهم محمد بن خالد. أما هذه القصص وأشباهها فقد رواها الطبري وهو أديب ومؤرخ وفقيه ويلذ له ذكر مثل هذه القصص بشرط أن ينسبها الى سواه.

ونريد أن نقول أنها موضوعة لا متأثرين بحجج ابن خلدون ولا بان الخلفاء لم يكونوا يزوجون الموالي حتى في زمن الانحطاط والملوك السلاجقة بل لان هذا أمر تافه ومخالف للشرع وما كان الرشيد يتعمده وليس فيه شيء من الخيانة العظمى أما ما ذكر ابن خلدون من استبدادهم بالاموال والدولة دون الرشيد فلم يثبت عند الثقات وانما قرروا أن الرشيد كان يقبض على أزمة الدولة بيد من حديد ولم يكن هؤلاء البرامكة إلا آلات مسيرة وهذه ولاية خراسان رأس الشغب في الدولة الاسلامية لم يثبت فيها جعفر سوى عشرين يوماً وهكذا كان ينقل هؤلاء البرامكة مثلما كان ينقل بيادق الشطرنج بقوة ملكية وما وجدنا أحداً يعترض منهم ويمتعض.

أما بذل الاموال فكان عادة صريحة تظهر نعمة الخلافة وأننا نجد الرشيد يغضب على اليزيدي وقد كان عزم على أن يتزوج ابنته فلما علم أنه بخيل ممسك وبخه وصرف ذهنه عنه بقي الشيء الذي كان يحرص عليه الرشيد ولم يرد هؤلاء المؤرخون ان يذكروه:

إن الرشيد كان لا يرهب شيئاً في تنفيذ سلطته وتقوية خلافته ولا يتحرج من احراق كل عظيم إن بالدهاء أو بالقوة والسياسة ولم يكن أمر الخلافة يخاف عن الرشيد الداهية ولم يكن يهمه في أمر سياسته الداخلية إلا الخيانة العظمى التي لم يسعها عفوه فهل كان من أمر البرامكة أن تعرضوا لها؟ ذكرنا علاقة جعفر بعبد الملك بن صالح. وبالطبع كان الرشيد يرهب هذا المنافس العباسي وهذا يطمع بالخلافة ولكنه لم يظهر رأيه إلا بعد نكبة البرامكة باربع سنوات وأن الرشيد لما ثبت له هذا الامر ثبوتاً أمر بسجنه وقتل يحيى بن خالد والفضل وفظع بالبرامكة كل تفظيع فما علاقة أحد أركان البيت المالك بالبرامكة؟ هذا الذي حرص على كتمانه المؤرخون والامر يظهر بنتيجته فقد نال البرامكة مثال عبد الملك بن صالح وأكثر لانهم كما يظهر كانوا يمهدون له السبيل وأنه قال يحيى مبرراً نفسه: «ومالي ولعبد الملك وهل آمل أن أنال من دولته أكثر مما أنا نائل من دولتك فاذا كان هذا رأي يحيى فلا يكون رأي جعفر الذي يطلب منه الرشيد مع كل ايثاره أن يقبل يديه ورجليه. أما قصة يحيى بن عبدالله فقد ذكرها كل المؤرخين وقالوا إنها كانت السبب المباشر بالطبع لان يحيى قام بالثورة حقيقة وأن الفضل كان يمحق الثورة ويقتل يحيى ولكن حبب اليه الامان وأقنع الرشيد الباطش في مثل هذه الحالات أن يقنع بالامان ولكننا نرى الرشيد قد أعطى الامان مكرها وبرهاننا أنه عمل على نقضه وتعذيب يحيى نفسه ولكنه سلمه الى جعفر لوثوقه منه أما جعفر فبدلا من أن ينفذ إرادة مولاه أطلقه وكذب ثم تجرأ فقال ليس وراءه كبير أمر مكروه. وقد قررنا أن هذه الخيانة العظمى لم يكن الرشيد ليتسامح بها وأنه كان يسير على خطط المنصور وهي كظم الغيظ ليأخذ للامر عدته، صبر حتى كان جعفر في طريقه الى الحج ففتك به وهو بعيد عن أعوانه ثم صلبه في بغداد إلى أن أصبح قتله ترهيباً للناس واظهاراً لعظمة الخليفة الجبار وأما أموالهم فكانت تلك عادت صريحة يغذى بها بيت المال.

صور جرجس كنعان

النفاق مرض نفسي

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي في علم النفس

يعاني المجتمع آلاماً كثيرة ويتعرض لاضطرابات مختلفة من سلوك المنافقين . ويقص علينا التاريخ ما تعرض له الاسلام من متاعب جاءت كلها من طائفة المنافقين .

ولو رجعنا الى أصل كلمة نفاق لوجدناه مأخوذاً من الكلمة الدالة على سلوك معين للقنفذ . فكلمة نفاق في استعمالها العربي الاول تدل على ما يقوم به القنفذ عندما يجد نفسه مهددا في جحره اذ يلجأ الى فتح الباب الاحتياطي المهيأ من قبل في قعر الجحر وبعمله هذا يحول جحره الى نفق يساعده على الافلات من يد الصياد المهاجم . إن هذه الطريقة في الدفاع سلبية وتعتبر دليل ضعف لأنها تخالف طريقة بعض الحيوانات الأخرى التي تتخذ وسائل حيوية تقاوم بها وتدافع عن نفسها . وكذلك ما سميناه بالنفاق عند الانسان فهو الوسيلة التي يلجأ اليها الضعيف في سلوكه . والنفاق موقف كاذب يقفه الشخص ليوهمك بوجود شعور في نفسه واسهل موقف هو التعبير اللفظي للواقع وهو ما نسميه بالكذب . ويحتاج المنافق الى الكذب كما يحتاج التاجر الى البضاعة فالكذب هو السلاح الذي يستخدمه المنافق ليخرج من المازق الذي يتعرض له في كل لحظة . وكذب المنافق يدور اغلبه حول اختراع المواقف التي تبرر سلوكه

ويرى البعض في النفاق براعة ذهنية ومرونة نفسية وقد حاول ماكيافللي ان يستخدم هذه المرونة في المواقف السياسية لانها وسيلة من وسائل الدفاع عن مصلحة الامم على اعتبار ان الغاية تبرر الوسيلة .



ولكن هذه الوسيلة هي سلاح الضعيف فالقوي لا يفكر فيها بل يلجأ الى القوة التي تفرض الرأي . وترغم الخصم على الخضوع بطريقة أسرع . إن اتجاها عابرا الى النفاق في حالة اضطرارية وفي الوقت الذي يكون هذا الاتجاه لصالح شخص دون ان يحدث ضرراً ما ليس ما يمنع استخدامه من الوجهة النفسية ولكن الخطر يأتي دائما من الاسراف والتمادي فالشخص الذي يتغلب عليه موقف النفاق في كل سلوكه يقضي على تماسك شخصيته ويصبح عاجزا عن تكوين مركز اجتماعي ويستحيل عليه ان يشعر بذات مستقلة عن الآخرين تستطيع ان



تستقل وتضمن حريتها . بل على العكس فان المنافق يكون دائما بحاجة الى الاشخاص الآخرين ليعيش فالمنافق طفيلي بطبعه .

ولهذا السبب يحتاج المنافق الى أشخاص عديدين ويضطر الى مسايرة اشخاص مختلفين في ميولهم ومشاربهم ولهذا أيضا نلاحظ ان أغلب المنافقين يميلون إلى نقد الناس لانهم اكتشفوا بالتجربة أن النقد يدخل نوعا من الراحة في النفوس فالسامع يعتبر الناقد الذي يعرض عيوب الناس كأنه يمدحه ويطريه وينفي عنه العيوب المنسوبة إلى غيره فيفسد المنافق بذلك نفوسا أخرى ويجعلها تشعر شعورا كاذبا سواء فيما يتعلق بالاخرين او بنفسها .

واغلب الناس ليسوا بحاجة الى النفاق كوسيلة دفاعية ولكنهم يلجأون إليه عند شعورهم بالضعف امام شخصيات أخرى يعتقدون بانها اقوى منهم ولا يلبث هذا الشعور بالضعف ان يصير عادة ويهدم البقية الباقيه من الشخصية . ويمكننا ان نشبه المنافق بالشاة الواقفة بين خروفين لا تعرف الى اين تتجه على الرغم من الدوافع القوية التي تدفعها الى الناحيتين فهذا المثل المقتبس من حديث نبوي يمثل حقيقة المنافق وهي الحيرة والتردد .

وآفة المنافق العجز عن الوصول الى ارضاء الاخرين ولهذا يقع المنافق حتما في كثير من مواقفه في الحيرة والتردد وهذا طريق آخر لتدهور الشخصية وضعف الارادة . والشخص الذي تضعف ارادته وتتلاشى شخصيته يصير عاجزاً عن بذل أي مجهود .

وقد جاءني شخص ، للعيادة النفسية يشكو من حالة غريبة وهي تلاشي الشعور

من يوميات منسية

بقلم نجاني صدقي

قصة



عادة الناس عندما يخلون منزلا ان ينتبهوا جيداً الى انهم لم ينسوا فيه شيئاً له قيمته ، ومع ذلك فقد تركت الاسرة التي كانت تقطن منزلي سابقاً مجموعة من المجلات ، والاوراق، ودفتراً صغيراً للمذكرات يتضمن يوميات ادبية لماقيمتها. ولما سألت صاحب البيت عن مستأجره السابق قال انه يدعى السيد (ل . ج) ، مهنته الكتابة ، ولا يدري اين يقطن الآن .

فتصفحت يوميات ذلك الرجل فوجدتها زاخرة بالمعلومات والاختبارات ، واليكم بعض ما جاء فيها :

٢٣ يناير ... ١٩

« ستكون يوميات اليوم مطولة قليلا لان موضوعها هام .. علمت ان جماعة من مغامري الفكر قد الفوا جمعية تعرف بجمعية (اخوان الفن) وقد تبين لي فيها بعد ان اعضاءها يرمون من وراء ركوب هذا المركب الخشن ارضاء مركب نقص في نفوسهم ، والحصول على الشهرة الكاذبة بثمن بخس .

وهكذا بدأت جماعة اخوان الفن هذه تبرز الى حيز الوجود مغتنمة كل فرصة للاعلان عن كيانها ، فعقدت النية على زيارتها بقصد التعرف الى افرادها ، وقد كنت اظن انهم وان لم يكونوا من العباقرة فهم على الاقل من المتأثرين بعباقرة الغرب .

استقبلني الاخوان بكل ما اعدوه من مظاهر بهلوانية، فاطلق احدهم شعر رأسه، وجعل غيره ربطة الرقبة واسعة فضفاضة ، ووضع ثالث نظارة مستعارة على انفه، واطلق رابع العنان للحيته، وجعل غيرهم قميصه خارج سرواله، اوترك شريط حذائه غير معقود دلالة على الذهول وشرود الطبع، او لبس سروالا مهلهلا وقميصاً واسعاً اثبت في جيبه عدداً من اقلام الحبر من جميع الماركات دلالة على ان ربة الفن تأتي « الاخ » على حين غرة ولا تدع له مجالا ليملأ قلمه بالحبر اذا ما نضب ولذا فهو يستعد لمقابلتها باكثر من قلم واحد .

اما غرفة « الاخوان » فقد زينت بجميع الرسوم التي لها مساس بالفن فهناك صور لبتهوفن ، وموتسارت ، وشوبرت ، ورفائيل ، ودفينشي ، وشكسبير ، وهوجو ، وتولستوي ، وهناك ايضاً صور لشكوكو ، والكحلاوي ، وزوزو حسن .

بالوجود وضعف في الحواس ويمثل الشخص حالته بحالة الحالم الذي يعرف نفسه في حلم ، وعندما درست حالته وجدته احتاج في فترة معينة من حياته الى النفاق وتعود ذلك الى ان قضى على ارادته وشخصيته واصبح نشاطه ضئيلا وزاد تعلقه بالاخرين لانه اصبح يخاف مجابهة الحياة وحده .

واخطر حالات النفاق المرضية هي الحالة التي يصبح فيها الشخص منافقاً مع نفسه ، في هذه الحالة يكون التشتت الداخلي قويا وتكثر التبريرات المختلفة التي تفتح امام الشخص جميع الافعال الممنوعة والمحرومة ، فكل منافق مرشح لان يكون مجرماً وهو معرض لارتكاب جميع الاضرار بالآخرين وبنفسه . وقد يصل المنافق في آخر كفاحه عندما يكون مهددا بالفشل الى الانتحار بسهولة .

ولا يجوز ان نخاف من النفاق فنلجأ الى الجفاء والمقاطعة اذ يجب الا نخلط بين النفاق الذي يمحي الشخصية وبين التكيف الذي تثبته امام الشخصيات الاخرى . على ان التكيف يحتاج الى مجهود ونوع من فهم الحدود التي يجب الوقوف عندها .

ولو حاولنا ان نحصر طرق الاتصال الشخصي لوجدنا فرقاً بين النفاق والتكيف والشفقة والعطف والميل والحب. فالنفاق اتصال وهمي يقوم على الاسراف في تمثيل الحالات الاخرى من التكيف وغيرها. وكما ان الممثل يحتاج لاتقان دوره الى تقمص الدور الذي يمثله ، كذلك المنافق يحتاج في كل الاوقات الى الاندماج في الحالة التي يحاول التظاهر بها . والاستمرار في التمثيل يفقد الشعور بالواقع ويؤدي الى ازدواج الشخصية ويوقع الشخص فيما شكا منه المريض النفسي الذي شعر بفقدان الشعور وتلاشي الحواس .

وبناء على تتبع الحالات المرضية والملاحظات الكثيرة وجدنا ان النفاق داء نفسي بمعنى انه يقضي على الارادة وتماسك الشخصية على الرغم مما يظهر به المنافق في اول الامر من مرونة وبراعة في توجيهه الى الاخرين والتحكم في مشاعرهم وعواطفهم ، فالمنافق يبيع الكذب بالوهم وتجارته تنتهي غالباً بالافلاس في النشاط والقدرة .

القاهرة ابو مدين الشافعي

جلست في حلقة الأخوان وتعرفت الى بعضهم ، فكان احدهم « اجتماعياً » والثاني « فيلسوفاً » والثالث « رساماً » والرابع « موسيقاراً » ، وشرعت اساجلهم في فنونهم فقلت للاجتماعي ما رأيك في « الوجودية » ؟..وتمهيداً للبحث افيدك بانها تقول : ان الاساس الوحيد لتصرفات المرء واعماله في العالم هو حقيقة كونه يحيا في هذا العالم ، فنحن اذ يقبع امامنا مستقبل مظلم ، ويقوم وراءنا ماض مظلم فما علينا الا ان نحصر تفكيرنا في واقعية اختباراتنا ونجعلها اساساً لاعمالنا وتصرفاتنا. وهي تقول ايضاً بان ليس هناك خير وشر وانما هناك وجود مطلق الحرية في ان يفعل ما يراه وما يحلوله دون تقيد بالخير والشر.

هذا هو تعريف الوجودية فما رأيك فيه اولا ، وما رأيك في الوجودية بحد ذاتها ثانياً ؟..

ولما كان مدعي الاجتماع في واد غير هذا الواد اخذ يمشط شعر رأسه باصابعه بحركة عصبية ويطلق من لفافته سحاباً من الدخان ثم قال متحمساً : انني غير متفق مع بول سارتر فالوجودية هي غير الوجودية !.. ولا اعتقد ان هذه الفكرة تستحق اي جدل او نقاش ، واندفع يشرح « افكاره » متلعثماً ، متعثراً .

ثم التفت الى « الفيلسوف » وقلت له : يقولون ان نفس الانسان لا تتألف من جوهر روحي وانما هي ناتجة عن تفاعل المادة في الجسم ، وان كل الموجودات هي اما ان تكون مادة او حركة ، فما رأيك في ذلك ؟..

فوضع « الفيلسوف » اصبعه على صدغه كمن يتذكر امراً واطرق قليلا ، ثم قال غاضباً : هذا كفر وزندقه ، فوالله لو اعرف من هو صاحب هذا الرأي لاخرجت عينيه من حدقتيهما!.. فهدأ الاخوان من روعه وافهموه بانهم في حلقة تبادل الافكار ليس الا .

ثم تحولت الى « الرسام » وسألته : هل انت من اتباع الاتجاه الانطباعي ام التعبيري في الرسم ؟..

قال : وماذا تعني بهذين الاتجاهين اولا ؟..

فاجبته : يقولون ان الاتجاه الانطباعي هو الذي يتأثر للوهلة الاولى بالمنظر الذي يرسمه الرسام دون التدقيق في التفاصيل . اما الاتجاه التعبيري فيقولون انه الاندفاع في التعبير عن عواطف المصور دون الاهتمام بجعله مطابقاً لما تراه العين .

فاجاب « الرسام » ، بعد ان عدل ربطة رقبته العريضة : انا من اتباع الطريقتين ، والزم الصمت !..

ثم التفت الى « الموسيقار » وسألته : من احب الموسيقيين الغربيين الى نفسك ؟.. فاجاب : بتهوفن طبعاً .

قلت : الى كم مرحلة قسم بتهوفن السمفونية التاسعة ومن هو واضع النشيد الذي يرتل في نهايتها ؟..

قال : كيف تسألني رايي قبل ان تدلي انت برايك ، ضع المسألة على بساط البحث ثم تدخل في النقاش .

قلت قسم بتهوفن سمفونيته اربعة اقسام :الدعوة الى الحرية، ونهضة المحاربين ، ونشيد ديني ، وانفجار الحماسة الشعبية. اما واضع النشيد فهو شللر .

قال : لقد قلت ما اردت ان اقوله بالضبط !.. انني من المؤمنين بفكرة توارد الخواطر !..

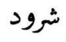
فتركت مجلس الاخوان بعد ان كونت فكرة واضحة عنهم » .

٢٤ يناير ... ١٩

« يلوح لي ان « اخوان الفن » الذين زرتهم أمس ليسوا سوى مهرجين من الدرجة الاولى ، والأنكى من ذلك اعتقادهم بان لديهم رسالة يذيعونها على الناس . . انني افهم ان يعمل الانسان في نطاق مؤهلاته الطبيعية كأن يكون نجاراً ، او حجاراً ، او كناساً ، او صانع احذية ، واعتقد ان كل صاحب حرفة يؤدي في نطاق عمله فوائد جليلة للمجتمع . اما ما اعجز عن فهمه هو ان يحشر الانسان نفسه في ميادين غير ميادينه ، فيجني بذلك على نفسه وعلى امته . . وتذكرني قصة « الاخوان » بحكاية طريفة لها مغزاها : زعموا ان احد صانعي الاحذية زار مرة جاره الفنان وكان هذا منهمكاً في رسم صورة سيدة انيقة حسناء . فوقف صانع الاحذية يتأمل الصورة باهتمام كبير ، وصرخ فجأة : انني ارى خطأ في حذاء السيدة !.. فالكعب يجب ان يكون اقصر قليلا ، وقطعة الجلد الخلفية يجب ان تنحرف الى اليمين !.. فاعجب الفنان لملاحظة صانع الاحذية واصلح الخطأ في رسم الحذاء . غير ان صانع الاحذية قد اغتر بنفسه وظن انه فنان فراح يكثر من التأمل في الصورة فتارة يتأخر الى الوراء ، وتارة يتقدم الى الامام ، ثم قال للرسام على حين غرة : انني ارى عيباً في رسم وجه السيدة !..

فاجابه الفنان على الفور : ارجو يا جاري العزيز الا تتعدى في ملاحظاتك دائرة الحذاء ! » .

نجاتي صدقي



شرود



لانور الجندى

طرطوس

شكوى تردد في الضمير كأنها بوح الحبيب ، الى الحبيبة في الدجى
ينزو لها قلب الجريح كآبة ومن الكآبة ما يحب ويشتهي
وأضدها حذر الشماتة جاهداً وتثوب لاهبة ، فيغرقني الاسى
قطع من الكبد الذبيح تناثرت احلامها ، فرجعت أقنع بالصدى
هي يا زمان ، أنا ، وأفجع علة وقعت على المحروم ، فقداني انا
أرنو الى ماضيّ ، وهو معطر وأعود اعثر بالتلهف والونى

يا عين من أهوى ، وأنت بعيدة كلفي برمشك ، مامل لا يرتجى
أهواك راضية، وكل هناءة في الكون،لو تدرين،طيفك في الكرى
لمحتك عيني ، فاتشيت صبابة ونأيت لاهية ، ففارقني الصبا
ماذا علي ، اذا هويتك والهاً وغدوت استبق الزمان الى الهوى؟
وانا الذي فتن الوجود بشعره فافاق يحلم باللذاذة والرؤى
أيروعني هجر الحبيب ولم اكن الا الهزار، ينام في جفن الضحى؟
حسبي من الدنيا ، مواكب فرحة شردت شرود الزهر شبعه الندى



صبوة

❖

لمصطفى محمود

أمن جنة الصدر حيث العبير يطوف بنهديك مستلهما
تدحرج هذا الفتى العنبري صريعاً بخمر الهوى مفعما
به حيرة النهد جن على القميص يعاتب مسترحما
وزقزقة البوح في ثغره تخبيء لى عالماً مبهما
غنيّ الرؤى جن لألاؤه وزجّ بقلبي هوى مضرما ..

خجول تراوده فكرة فيكبت اشواقه مرغما
كأن به جنة الملهمين يعذب قلباً به مغرما
فهل مسه طيف غيبوبة وصيره شاعراً ابكما ؟
اسائله وهو في نشوة ويغمزه الحرف مستفهما
وتنهار دنيا على همسة ويبقى الى التيه مستسلما ...

قسوت عليه فلا تظلميه حرام على النهد ان يظلما
تعري وعاد الى سجنه كأني به خاف ان يلثما
فراح يعربد تحت القميص ويزرع ليل المنى انجما ...
لقد فضح العطر أسراره وأوما للعاج ان يبسما
فما بال هذا الرسول الغبي تلعثم في نطقه وارتمى
وأغفى على همسة الارجوان يلجلج في صمته ملجما ...

خذيه وقولي لنهديك أني سأقطف زهر الهوى منهما ...

باتريك ستراهام

بقلم أديب مروة

لم تكن في راسي وأنا ادخل المقهى ، في تلك الساعة من مطلع الليل أية فكرة على الاطلاق . بل جل ما كنت أبغيه آنئذ ان اذهب ما بنفسي من قلق غامض ، ومن شعور بالضيق والسأم ، كان قد استحوذ علي طيلة ذلك النهار ، دون ان ادري له سبباً ، ودون ان اعرف له مخرجاً . فكنت ضيقاً بنفسي ،ضيقاً بالناس ، ضيقاً حتى بصاحبي الذي لقيته هناك ، وجلس معي .

دخلت ذلك المقهى في شارع «البولميش» من الحي اللاتيني، دون غاية ، ودون ان اعرف لماذا أدخل ، او اذا ما كنت سأمكث فيه طويلا ، ام سأغادره سريعاً. ودون ان أحس بأني في مقهى ام في مطعم ام في برج عاجي ... وترامت بحركة آلية على احد المقاعد كما لو كنت اجلس في بيتي ، وقد خيل الي حينئذ أنه لم تكن تربطني بزمان محدود ، او مكان محدود ، او عالم محدود اية صلة البتة ... فكنت أحسب بين مجموع زبائن المقهى،ولكني بالواقع لم أكن بينهم ، وكان قوم يروني في وسطهم ويشعرون بوجودي، ولكني لم أكن اراهم حولي، اواشعر بوجود احد منهم ... فكنت غائباً حاضراً ، او تائهاً غير ضائع، ولم يكن يشغلني عن دنياي شيء، بل كنت كمن ألقي في فراغ هائل او في عدم مطلق ففقد الوعي وعرته غيبوبة ، وهو بالفعل لم يكن في هذه الحالة او في تلك ، بل كان في حالته الطبيعية التي عرفه بها الناس ، او اعتادوا ان يرونه بها .

ولم يكن جو المقهى ساعتئذ ليساعد على الهدوء ، وراحة الاعصاب ، او الاستجمام النفسي ، بل كان على العكس يسيطر عليه ضجيج غريب أشبه بضجيج مطحنة كبرى على النهر ، فهناك هدير متواصل من احاديث القوم ونداءات الخدم ، وهناك سحابة كثيفة من دخان لفائف التبغ انعقدت فوق الرؤوس ... وهناك رائحة مزعجة بعض الشيء ولكنها غير مكروهة ، انبعثت من افواه نفر من السكارى، ومن غبار الارض الذي اثاره جماعة من الشبان كانوا يوقعون بأقدامهم انغام اسطوانة راقصة كانت تدار على حاك عتيق في الزاوية ... وهناك ازدحام شديد وحر خانق اثار حبيبات العرق على جبين كثير من الفتيان والفتيات الذين اكتظ بهم المقهى ... فالدنيا كانت صيفاً، والمطر يهطل في الخارج بغير انقطاع ، ودون غزارة ، يجبل تراب الارصفة الى طين ، ويحمل السابلة على الاسراع في مشيهم ... ولم يكن ذلك مستغرباً ، فأيام الصيف في باريس حافلة بالمطر ، كما لو انها شتاء في بلد آخر ، وانت في هذه المدينة لا تستطيع ان تفرق بين ربيع وصيف ، او بين خريف وشتاء ، او بين هذه الفصول جميعها طيلة ايام السنة ...

وهكذا كان الجو داخل المقهى وخارجه ثقيلا صاخباً مثيراً لا يبعث على الصفاء والبهجة والتسرية ... ولعل هذا الجو عينه هو الذي أضفى على نفسي آنذاك هذه الحالة من الذهول والتوزع ، فاذا بي أنسى اني في مقهى ، وأنسى صاحبي الجالس الى جانبي ، وأنسى كل شيء ، واغرق في وجوم عميق لم ينقذني منه الا صوت اعادني الى واقع امري، وأيقظني من غفلتي وذهولي :

– هل لكم بقصيدة مقابل خمسين فرنكاً ؟

ونظرت الى صاحب الصوت فاذا به فتى مراهق لم ينبت الشعر في عارضيه ، وكانت سحنته تدل على انه من اولئك الشبان الذين ابتلوا بمرض هذا العصر ، فأصبحوا عاطلين عن العمل ينهجون في حركاتهم وتصرفاتهم ، وفي طريقة لبسهم ، كل شاذ مستحدث او غريب مستهجن . ويعيشون على هامش المجتمع في سبيل غاية مجهولة ... او انهم لا يعيشون الا لانهم يعيشون ، فكأنما هم وجدوا انفسهم هكذا في الحياة ، فاذا الحياة تبدو لهم جد تافهة ، حتى ضاقوا بها ذرعاً ، او ضاقت بهم ذرعاً ، فما وجدوا هم الى التخلص منها سبيلا ، وما وسعت هي ان تلفظهم من احشائها ... واذا بهم ولا هم لهم الا الاستمرار على هذا النحو، في هذا الوجود، الذي لم تكن لهم مشيئة في اختياره. وكانت النتيجة ان بدوا – بنظر المجتمع – من التافهين المارقين الطفيليين...ذلك هو مرض «الوجودية» العصري المتفشي



اليوم بين شبان الجيل الطالع في هذه البلاد.

ولم أشأ ان اعلق على ما قاله الفتى باكثر من ان صرفته باشارة من يدي قائلا:

ـ لسنا الآن بحاجة الى قصائد !..

وكانت لا تخالجني بادرة شك بأنه لا يعدو كونه احد اولئك المحتاجين الذين يقبلون على زبائن المقاهي ـ وما اكثرهم ـ عارضين عليهم، اما شراء مجلات او جرائد غير مسموع بها. واما رسمهم باليد رسماً «كاريكاتورياً»، واما اسماعهم قصائد وحكايات غير ذات قيمة مقابل فرنكات معدودة ...

على ان جليسي ـ وكان قد يئس من صمتي وسهومي ـ أراد ان يسري عنه وعني في آن واحد، فشاقته الفكرة ودعا الفتى قائلا :

ـ تعال يا صاحب القصائد .

ـ من ؟.. انا ؟

ـ اجل أنت .

ـ او تدفعان لي خمسين فرنكا مقابل قصيدة ؟

ـ طبعاً ... ولكن قبل ذلك نريد ان نعرف هل نظمت قصيدتك سابقاً ام ستنظمها الآن ؟

ـ كلا ... بل سأنظمها الآن امامكما.

ـ حول أي موضوع ؟

ـ الموضوع الذي تشاءان !

ـ حسناً اتفقنا ...

ـ أمعكما قلم وورقة ؟

ـ كلا ...

ـ اذن اسمحا لي بدقيقة لكي احضر ورقة وقلماً .

وطار الفتى الى بعض رفاقه ركضاً، يستعطيهم ورقة وقلماً، بينما قلت لصديقي وكنت اعلم انه ليس ممن يميلون الى قراءة الشعر او ممن يهتمون بأصحابه :

ـ منذ متى أصبحت تحب القصائد ؟

ـ انه صبي مسكين، اخذتني عليه شفقة، واريد ان اسلي وقتي واحسن اليه ...

ـ او تعتقد ان القصيدة التي سيأتينا بها الآن لا يحفظها عن ظهر قلب ؟

ـ يحفظها او لا يحفظها، فان ذلك لا يهمني ... أحب ان احتك بهذه الفئة من الناس، وهذا كل ما في الامر ...

وما عتم الفتى ان عاد قافزاً من وراء ظهرينا على المقعد الطويل الذي كنا نجلس عليه ... فاذا به يتوسطنا نحن الاثنين ثم يسألنا :

ـ ها أنذا... هل اخترتما موضوعاً ؟

فقلت له : « صف لنا جو هذا المقهى ؟ »

ـ انه مبتذل... حقير ... لا يستحق بيتاً من الشعر ؟

وقال له صاحبي : « صف لنا اي شيء . واختر الموضوع الذي تشاء انت ... الا تريد لفافة تبغ تساعدك على الاستلهام ؟ »

وهنا ناوله لفافة فاخرة، ثم نادى الخادم، وامر له بقدح من الشراب .

وذهل الفتى من كرم صاحبي، وكأنه لم يتعود مثله من أي زبون، فراح يتمتم عبارات الشكر بصوت يغلب عليه الحياء والاستكانة، ثم أخذ يحك رأسه مفكراً ومشعلا جذوة قريحته ... ومضى يسطر بقلم رصاصي عتيق على ورقة رثة الابيات التالية :

« ظلال الشتاء ،
« دخان كثير القذارة
« يتصاعد من معامل الضواحي ،
« او من منعطفات منسية
« مصلوبة على هضبة .
« إشاعة فاشلة ،
« وانوار مبهمة ،
« كثيرة الخفوت
« لها نظرات راجفة !..
« صيحة ممزقة ،
« لقطار خيالي ،
« تقطع على الحبيب مداعبته الاخيرة ...
« صفارة قريبة جداً ،
« من فولاذ وحديد ،
« انتشلتك من رصيف مزحلق !
« اضرابات غير كاملة ،
« وتنهدات المساءات المشتملة ،
« ورتابة البحر المقدم لحلمك !
« صفارة شرطي قريبة ،
« لا تبكي على مرآك الصيف !
« يا ابنة البهجة التي يأتون بها ...
« ظلال الشتاء .
« منعطفات منسية .
« انوار مبهمة .
« وعلى شفاهك المتروزة ،
« مكان القبلات التي دفعوا لك ثمنها ،
« تعلقت مرساة دمعة ...

وما ان فرغ الفتى من نظمه حتى اعاد قراءة ما كتب، فاذا برفيقي يصيح « برافو » ثم يناوله ورقة مالية بمائة فرنك، فيجيبه الشاعر :

ـ لا يوجد معي ما ارد به لك الباقي ...

ـ ما عليك ... خذها كلها .

وفغر الفتى فاه، ونظر الى صاحبي وقد ظنه هازلا غير جاد ... وقال :

ـ انها لي وحدي ؟.. لي انا ؟.. اشكرك كثيراً ... يا لك من كريم !

وسألت الفتى بدوري : « ماذا تضع عنواناً لهذه القصيدة ؟ » فحملق بي قليلا ثم قال : « صيف » .

ـ يا للروعة ... يا للابداع ... انت فنان بدمك وروحك ... وستصبح شاعراً عظيما !..

– يبدو لي انك انت ايضاً، كصاحبك كريم، ولكن بعبارات الاطناب فقط!

– سبحان مقسم الارزاق ... على فكرة، لماذا لم توقع القصيدة؟

– عفواً ... لم اظن ان ذلك يهمكما كثيراً!..

وتناول قلمه وكتب بذيلها الاسم التالي:

« باتريك ستراهام »

وتطلعت اليه بعنين واسعتين وقلت:

– أأنت باتريك ستراهام؟

– اجل.

– وانت فرنسي؟

– بكل تأكيد ... دماً واصلا!

– ولكن يبدو لي اسمك غريباً وغير فرنسي.

– على العكس ... هناك كثير من الفرنسيين ممن يدعوك بباتريك.

وتنى صاحبي على كلام الفتى، الذي استطرد قائلا:

– ان اسمي عادي جداً ...

***

بيد اني لم اجد اسم هذا الفتى عادياً ... بل ظهر لي غريباً جداً، ورايتني معجبا به اشد الاعجاب، فرحت اردده عدة مرات بسذاجة وتمهل، وقد علقت عيناي به وهو في ذيل القصيدة... وكان يخيل الي ان هذا الاسم على غرابته قد مر بذهني قبل الان، فوعته ذاكرتي، ولا ادري كيف ... ولا اعلم لماذا ... مع اني كنت واثقاً كل الثقة بان اسماً كهذا لم اصادفه من قبل، اثناء مطالعاتي الكثيرة، ومع اني اسمع به للمرة الاولى وارى صاحبه للمرة الاولى أيضاً ... فلم يكن وقع هذا الاسم في نفسي كوقع غيره من اسماء الاشخاص الغرباء الذين اتعرف بهم لاول وهلة، وغالباً ما يحدث ذلك في النهار الواحد ... فلقد اثار اسم هذا الشاعر في مخيلتي خواطر شتى لا احصر لها، وكنت كمن كان يفتش عن ضالة، فاذا به يعثر عليها، او كمن كان في يأس، فاذا بخيط امل يهبط عليه ... وما ادري اذا كان اعجابي بهذا الاسم ناتجاً عن حالة اللاوعي التي كنت فيها قبل ان القى صاحبه، وكانت نفسي بسببها مهيئة لان تندفع وراء اي حادث او تتأثر باية مفاجأة من هذا النوع ... وما ادري اذا كان ذلك من قبل التجاوب النفسي الذي يطرأ احياناً على العقل الباطن، فتمر بالذهن مثلا صورة شخص معين قد نعرفه او لا نعرفه، واذا بنا نلقاه بعد لحظات او بعد ساعات او بعد ايام دون ان ندري لهذه المصادفة تفسيراً ... وما ادري ايضاً اذا كان هذا يعود الى اني وجدت اسم « باتريك ستراهام » موسيقياً مؤتلف الحروف، قد يوحي لمن لا يعرف صاحبه، بان حامله له شأن في دنيا الادب او الفن او الموسيقى ... وما ادري كذلك اذا كنت قد علقت بهذا الاسم ووجدته اليفاً قريباً الى نفسي، لكوني كنت في تلك الايام منهمكاً بكتابة قصة، وحدث ان وقعت لي مشكلة اختيار اسم بطلها ...

ومهما يكن من امر، فقد شغلت بهذا الاسم عن كل شيء، فلم اهتم بالقصيدة، ولم اهتم بصاحبها وبعمله، وبطريقة معيشته، وبرفاقه الذين تجمعوا حولنا ساعتئذ واخذوا ينظرون اليه نظرات كلها حسد وتحسر على ما نال من حظوة ومن مال... بل اخذت اسأله عن عائلته واهله فقال ان جده كان « مايسترو » يدير جوقة موسيقية كبرى، وان اباه يعمل الان مديراً لاحد مسارح « الشانزليزيه » وان امه مدرسة لعلم طبقات الارض.

وسأله صديقي بدوره:

– ولماذا لا تشتغل مثلا عند ابيك؟.

– ليست لي رغبة في ذلك، وقد فضلت الانفصال عن اهلي لاني لم اكن يوماً معهم على وفاق!...

– وكيف تعيش الان؟

– كما ترى ... اجمع في النهار بعض الفرنكات من هنا وهناك عن طريق شعري، تعينني على ان اتبلغ بها بعض ما احتاجه من طعام. اما النوم، فتحت جسور « السين » متسع لكل من تنبو بهم مضاجعهم من الصعاليك امثالي.

– كم عمرك الان؟

– سبعة عشر ربيعاً.

– ما هي امانيك في الحياة؟

– اماني؟... هه ... ليست لي اماني محدودة. لان المرء مضطر في كثير من الاحيان ان يتنازل عن مطامحه في المستقبل ليفي حاجاته في الحاضر ... على كل حال ارجو ان اصبح كاتباً...

– حقاً انك متواضع في امانيك!

وكنت وانا اسمع هذا الحوار بين صديقي والفتى مازلت افكر بهذه الظاهرة التي حملتني على ان اهتم باسم كاسم باتريك ستراهام. غير اني رايت ان اعقب بشيء على ما قاله صديقي، فلم اجد الا ان اقول للفتى:

– ولكن ... من يدري؟!

وانفلت باتريك من بيننا على الاثر،

شاكراً مودعا بعد ان نادته احدى صديقاته ممن هن على شاكلته !

***

ومنذ ذلك الحين انطبع اسم « باتريك ستراهام » في ذهني ، وقد نقشت حروفه في ذاكرتي نقشاً ،وصرت اذا ما قرات شيئاً لبعض الكتاب العظام المعاصرين : كاندريه جيد ، او كامو ، مونترلان ، اوسارتر او كلوديل ، يتبادر الى خاطري على الفور اسم باتريك ، واتساءل عما اذا كان لصيغة اسماء هؤلاء الاشخاص تأثير على شهرتهم .وتصورت مثلا لو ان لهذا اسماً عادياً كروبيدران، اوجاك مارتان ، او اي اسم آخر ممن يكثر استعماله في هذا البلد ، لما كنت اهتممت به هذا الاهتمام ، ولما كان له من تفكيري هذا النصيب ، ولما كنت كتبت عنه هذه القصة على كل حال ... ثم تساءلت لو ان باتريك ستراهام لم يكن ذلك الشاب المتشرد الصعلوك . بل كان موسيقياً عظيماً كباخ وهاندل ، او عالماً نابغاً كماركوني واينشتين ، او كاتباً فيلسوفاً كروسو وبرنارد شو ، فهل كان لاسمه لدى الناس تأثير أقل من تأثير هؤلاء المشهورين ?? اغلب الظن لا ...

وصرت أكثر من ترددي على مقهى « البوليش » لا لشيء الا لاصادف فيه باتريك ـ وكان لا يفارقه الا نادراً ـ فأعطيه بعض المال ويسمعني شيئاً من أشعاره، وكنت احياناً اجد نفسي مسوقاً الى ذلك المقهى دون ان اعرف لماذا ، فأسأل عن الفتى المذكور اذا كان موجوداً دون ان تكون بي حاجة الى رؤيته ، فيأتي الي ، فأكتفي بتحيته ، وأمضي وانا معجب في قرارة نفسي من هذا التصرف الغريب الشاذ ، الذي اقوم به ازاء شخص لا تربطني به سوى معرفة بسيطة .

وكنت في كل مرة القى فيها هذا الشاب أغرق بأمثال هذه الخواطر والتصورات العميقة احياناً ، والتافهة احياناً أخرى، ثم اذهب بعيداً في استقراء فلسفة الاسماء ودراسة أثرها ، حتى سيطرت علي اخيراً فكرة بأن هذا الفتى يجب ان يصبح مشهوراً ، ولكن متى ? وكيف ? ولماذا ? وبأي ميدان ? هذا ما كان يحيرني، ويأخذ بالخناق على تفكيري، كما كان يحيرني في الوقت نفسه تحيري هذا ، واهتمامي بمثل هذا الفتى وباسم كاسمه ... ذلك بأني لم اكن أجد في سلوك باتريك ما يحمل على ان يتوسم له اي امرىء مستقبلا باهراً ، على الرغم من ان شعره لم يكن يخلو احياناً من لمحات فنية ، قد تكون لها بعض القيمة من الوجهة الادبية ، كما أني لم اره يوماً يطالع في كتاب حتى آمل له في ثقافة عميقة واسعة ، قد تهيء منه كاتباً في يوم من الايام ...

على ان باتريك نفسه لم يكن يعلم من امر اهتمامي باسمه وبأمره شيئاً ، بل كان يحسب اني رجل طيب ساقتني له الاقدار لاعطف عليه بين آن وآخر ...

وكان مقابل معوناتي المادية المتكررة له ، يعرض علي احياناً خدماته ، ويرجوني ان اكلفه بتحقيق ما يهمني من الامور او الشؤون ، ولكني كنت اشكر له هذه الرغبة في الوفاء ، واعلمه اني لست بحاجة منه الى شيء ... الى ان جاء مساء يوم وكنت قد اوشكت فيه ان اتناسى باتريك ، اذ شغلتني عنه هموم حياتي اليومية ، واذا بباب بيتي يطرق ، ثم تدخله فتاة رائعة الحسن :

ـ انت فلان ?

ـ أجل ... وهل من خدمة ?

ـ لقد بعثني اليك باتريك .

ـ باتريك ستراهام ... طبعاً !

تماماً... وهو يرجوك ان تقابله هذا المساء، في كهف « البحار العجوز » بحي « سان جرمان دي بري »

ـ خيراً ?

ـ لا ادري ... وقد كلفني ايضاً ان ارافقك الى ذلك المكان.

ـ الآن ?

ـ اجل وهو ينتظرك هناك.

ولكن يا آنسة ان وقتي لا يسمح .

قلت هذا وقد تبادر الى ذهني على الفور ان الفتى قد يكون بحاجة الى بعض المال ، بعد ان ضاقت بوجهه السبل ، فلم يجد سواي من يعينه على سد حاجته ، فبعث بهذه الفتاة يلح علي كي اراه ، غير ان الصبية نظرت الي بعينين فيهما الكثير من معاني التوسل والرجاء وقالت :

ـ انا اعلم ان وقتك ثمين ، بيد ان السهرة في «البحار العجوز» لا تفوت !

ـ هذا صحيح،على ان تكون السهرة معك وليس مع باتريك ، ولكن لم افهم قصدك ، فهل باتريك يريد مجرد رؤيتي فقط،ام انه يدعوني لقضاء السهرة معه??!

ـ لقد رجاني كي ادعوك لتراه...

ـ هذا معقول ، انما ارجوك الا تزعجي نفسك بانتظاري ، فاني استطيع الذهاب وحدي .

ـ الا تعجبك مرافقتي ?

ـ على العكس ، هذا شرف كبير ، ولكن .

وازاء الحاح الفتاة واغرائها لم استطع رفض طلبها، فسرت برفقتها الى كهف «البحار العجوز» بحي «سان جرمان دي بري» وهو حي اشتهر في باريس بانه معقل الوجوديين وعميدهم الفيلسوف جان بول سارتر ... وقد انتشرت فيه كهوف تحت الارض عليها طابع البساطة والقدم وهي اشبه شيء بنواد خاصة لهذه الفئة من الناس، فيها يجتمعون، وفيها يقومون برقصاتهم الصاخبة الماجنة التي لا يتقنها سواهم، وفيها يبشرون بمذهبهم الفلسفي الجديد عن طريق الاغاني الرمزية الفاحشة، او ما يقدمونه احياناً من وسائل طريفة للتسلية والامتاع.

وكنت اعلم ان بعض هذه الكهوف اصبحت لشهرتها وغرابتها مطمح زيارة الكثيرين من السواح الاجانب وخاصة الاميركيين ونجوم السينما. يقصدونها ليطلعوا فيها على جانب من الحياة الباريسية، وليشبعوا فضولهم في مشاهدة اشياء جديدة غريبة لا يمكن ان يلقونها الا في العاصمة الفرنسية وحدها.

وفي الطريق فكرت بدعوة باتريك هذه، فاستبعدت فكرة ان يكون هو الداعي الى السهرة لاني اعلم ان جيوبه تكون دائماً افرغ من وقت المقامر، ولذا نويت ان انقده شيئاً من المال، واغتنم الفرصة لقضاء سهرة جديدة علي قد لا تتاح لي دائماً، خصوصاً وان دخول امثال هذه النوادي محظر على من لم يكن مسجلا عضواً فيها.

ووصلنا الى «البحار العجوز» فاذا باتريك ينتظرنا على بابه، فاستقبلني بحفاوة ادهشتني، ثم ادخلني الكهف بعد ان هبطنا سلماً طويلا ضيقاً، ودعاني للجلوس الى مائدة قريبة من الساحة، وكان المكان كما توقعت غاصاً بفئتين من الناس: فئة الوجوديين الذين كانوا يتميزون بلباسهم الغريب، وقيافتهم الشاذة، وكلهم من الشبان او الفتيات الحديثي السن، وفئة الزوار والسواح، وقد تجلى على هذه الفئة مظهر الاناقة والارستقراطية والبذخ، حتى ان بعضهم كان يصطحب معه آلات تصوير، يلتقط بها بعض مناظر الجالسين.

وكان الكهف يشبه حانة ليلية للرقص والشراب. تقوم في ناحية منه جوقة موسيقية وفي ناحية اخرى بار للمشروب وكانت جدرانه تبين منها الحجارة القديمة وهي ما تزال كما وضعها البناء لاول مرة دون ان تكسى باي طين او باي طلاء، وفي وسطه فسحة صغيرة لمن يرغب في الرقص.

وكان باتريك يظهر لي من مجالي الترحيب والتكريم ما جعلني اتساءل في نفسي اذا كان هذا مقدمة لطلب المال، واردت ان الجح له بعض ما يساورني فسألته:

— يظهر ان قريحتك الليلة فياضة. فهل من قصيدة جديدة؟

— اجل وهناك قصائد عديدة.

— وبكم الثمن؟

— خمسة آلاف فرنك!!

فبلعت عندئذ ريقي وقلت لنفسي: كل شيء حسبته الا هذا، فقد كنا بخمسين فرنكاً، فاذا المبلغ يتضاعف مئات المرات ولم يكن مجموع ما في جيوبي ساعتئذ ليزيد عن نصف الثمن! ومضيت اقول للشاعر

— هذا مدهش، المبلغ كبير جداً، ماذا حدث في الدنيا حتى تحسنت «بورصة» اشعارك؟

— هذا يعود الى احوال مفاجئة تطرأ على الاسواق احياناً فترفع اسعاراً او تخفض اسعاراً اخرى، دون ان يعلم ذلك الا الراسخون في علم الاقتصاد. وقد فاجأتني هذه الايام حالة من هذا النوع، فيالفني حظ

— يا له من حظ اعمى مجنون!..

ويا لحظي الخائب!.

— لماذا؟

— لان الزبون الآن لا يملك القوة الشرائية اللازمة!

— اي زبون تعني؟

— لا تتغاب، قل لي؟. لماذا دعوتني الليلة لاراك؟

— لتشاركني في تشجيع شعري.

لا، اسمح لي ان اعود، لقد شجعتك كثيراً في الماضي، اما الآن فان الامر يتجاوز الطاقة..

— ولو؟! اهكذا ترفض دعوتي؟

— يا اخي هذه ليست دعوة، بل غرامة!

— غرامة؟... ليس في الامر تغريم او غرامة، بل اني اضمن لك انك ستمضي سهرة جميلة ومسلية.

— ولكن الثمن؟.. الثمن فاحش جداً!..

وهنا اطلق الفتى ضحكة عالية، وضرب بيده على جيبه وقال:

— ما عليك... ان الثمن هنا معي.. وقد قبضته... ولهذا تراني دعوتك الليلة لتمضية السهرة سواسية!

فبهت من ذلك، واعتقدت ان الفتى يمزح، فقلت:

— اني اعتذر عن قبول دعوتك... واشكرك على تفكيرك بي... وعلى كل حال فانت احق مني بهذا المال لتنفقه على حاجات نفسك... ولكن هل هذا صحيح؟ ومن هو المغفل الذي اشترى

شعرك بمثل هذه القيمة ؟

ـ دعك من هذا... فهو سر المهنة! ولا بد لك من قضاء السهرة الليلة على حسابي !

ثم تركني في دهشتي ، وذهب الى جمع من رفاقه ، فوقف بينهم فوق طاولة ، واخرج من جيبه الخمسة آلاف فرنك وقال:

ـ هذه خمسة آلاف فرنك... قبضتها ثمن أشعاري فمن منكم يرغب في مشروب معين... اي مشروب يشاء ... فليتفضل الى « البار » وانا ادفع عنه فالليلة عيد قصائدي .

وماج الرفاق وهاجوا مبتهجين صائحين « مرحى مرحى لباتريك » وتدافعوا نحو البار ، يطلبون الاقداح تلو الاقداح ... هـذا وباتريك يقفز وسط الساحة راقصاً مغنياً وهو في نشوة سعيدة ... بينما كان احد الامريكيين في هذه الاثناء يصور هذا المشهد باهتمام بآلته الفوتغرافية .

وعاد الفتى الي بعد قليل يحمل كأساً من الشراب وضعه امامي ، ثم اندفع يرقص مع احدى الفتيات ، على انغام الموسيقى الصاخبة ، رقصة وجودية اظهر فيها من البراعة والتفنن ما جعله ينتزع من رواد الكهف تصفيقهم الحاد المتواصل.

ومضت السهرة على هذا المنوال بين رقص وطرب واغان واستعراضات ممتعة جذابة قام بها بعض اولئك الوجوديين... هذا فضلا عن الخطب المازحة والحكايات المسلية التي لا تجعل الحاضرين يملون السهرة على طولها ... وكاد الليل ان يولي الا اقله ، وقد غاب عني حساب الوقت لشدة اندماجي في هذا الجو المرح الجذل. وكان معظم السواح الاجانب الامريكيين قد انصرفوا ... ولم يبق هناك الا بعض الزوار الذين اخذوا مثلي يستعدون لمغادرة المكان... وفيما نحن كذلك اذا بشرطيين يدخلان الكهف ثم يسألان عن باتريك، فيرشدهما اليه احد الخدم، فيتقدمان منه ويمسكان بيده ، ويقتادانه معهما ... دون ان يعكر ذلك جو الكهف ، ودون ان يكترث لهذا الحادث احد... وكأنه حادث طبيعي عادي ... لولا ان صاح احد الوجوديين: «هذا ليس بعدل...» ولكن الشرطة كانوا قد مضوا ومضى معهم الفتى، وتبعتهم صديقته الحسناء... واستغربت انا لما وقع كثيراً، بينما عرت بعض رفاقه موجة من الوجوم فهمس احدهم : « لعله متهم بسرقة الخمسة آلاف فرنك... وقال آخر: انها وشاية كاذبة... باتريك لا يسرق...» واضاف ثالث: «ولكنه على كل حال سيجد الليلة مأوى يبيت فيه ... فالسجن خير من تحت الجسر »

وشعرت عندئذ بعرق بارد يتصبب على جبيني... وقد خجلت كثيراً من نفسي لعلاقتي بفتى لا يشرف سلوكه احداً ... ولكني اسفت لما وقع له... واشفقت على ما آل اليه من مصير ... واصبت بخيبة مريرة لهذه النهاية الدراماتيكية التي ختمت بها هذه السهرة ، فكان ان اسرعت على اثرها بالانصراف الى بيتي ، وانا بالغ التأثر ، شديد الانفعال...

*

ومضى أسابيع على هذا الحادث، وما زال تفكيري منشغلا بباتريك ستراهام، قلقاً عليه ... يتجاذبني نحوه شعوران متناقضان : احدهما نوع من الاشفاق والتقدير لهذا الفتى كشاعر نابه... والآخر نوع من السخط على علاقتي به كفتى متشرد متهم بالسرقة. بيد ان ما كان يعزيني عن كل ذلك امل غامض في ان يكون للفتى من اسمه ساعد قوي على بلوغه الشهرة والمجد... الى ان وقعت ذات صباح على عدد من مجلة « لايف » ـ وهي مجلة امريكية كبرى تطبع خمسة ملايين نسخة ـ وقد خصصت اربع صفحات كاملة ملأى بالصور والقصائد ، تحدث فيها مراسل المجلة في باريس عن مدرسة الوجودية كمدرسة حديثة في الفلسفة، وكان الشخص الوحيد الذي استشهد به الكاتب، على انه خير نموذج لاتباع الوجودية هو الفتى باتريك ستراهام قدمه للقراء كشاعر ملهم، وكراقص من الدرجة الاولى... اما الصور فكانت مشاهد مختلفة يظهر فيها باتريك وهو في كهف «البحار العجوز» واقفاً على المائدة خطيباً ، او راقصاً في وسط الساحة... واما القصائد ، فكانت بينها قصيدة «صيف» التي باعنا اياها صاحبها بخمسين فرنكاً .

وما ادري ألعلها كانت من مهازل القدر، او من قبيل المصادفات المتناقضة ان اقرأ في مساء اليوم نفسه بعد اطلاعي على مجلة «لايف»، خبراً صغيراً في جريدة « فرانس سوار » الباريسية مفاده ان المحكمة الاصلاحية قضت بسجن المدعو باتريك ستراهام شهرين بتهمة التشرد !!

وهكذا ما زلت اتساءل حتى الآن عما اذا كان باتريك ستراهام قد حقق شيئاً من شهرته بفضل شعره، وطريقة معيشته في الحياة ، ام بفضل اسمه ؟!

غير اني اذا كنت قد حققت شيئاً من الشهرة لهذا الفتى عن طريق هذه القصة، فذلك كان بفضل اسمه وحده ...

باريس — اديب مروة

مشابه وحالات بشرية

بقلم محمد يوسف مقلد

نقع ونحن نطالع ادبنا القديم بما فيه الشعر والتاريخ، على مشابه وحالات بشرية لعصرنا الحاضر، لحياتنا سنة ١٩٥١ ولعل أصل ما في هذه المشابه بين الماضي البعيد والحاضر المعاصر هو هذه المشابه الروحية والفنونية ، او بعبارة اخرى «فن المعيشة» : فهي تشبه من وجوه عديدة، ـ عند القدماء ـ طراز حياتنا في هذا القرن العشرين شبهاً يدعو حقا الى التامل والفضول.

يطيب لي وانا من محبي القديم تاريخاً وادباً ان اطلعك على بعض « مشابه وحالات » وقعت عليها في الشعر العربي القديم ، ولذتني ، لا لاتصافها باوصاف عصرنا وحسب ، بل لجودتهـا كصورة وتصوير :

حياة القصور

سينية البحتري المشهورة فريدة من فرائد تراثنا القديم عديمة النظير في دقة وصفها وحسن وشيها وتطاريفها ، اوحى بها للشاعر قصر (هو ايوان كسرى) ما كان لولا هذه القصيدة شيئاً مذكوراً ولا حدثاً مشهوراً :

وهو خافضون في ظل عال
مشرف ، يحسر العيون ويخسي!

كلمة «خافضون » تشير الى الدعة والنعيم ، لغة القصور وحياة القصور! من منا لم ير في عواصم الشرق والغرب بناء شاهقاً ـ بستة او عشرة طوابق وما فوق ـ « يحسر العيون ويخسي » وانت تنظر اليه من الطريق ؟ اليس قوله « خافضون في ظل عال » منتهى ما يمكن التعبير به عن حياة سكان القصور المترفين ؟ اليس قوله « مشرف » اقصى ما يمكن تصوره من ان مثل هذا القصر مبني على احسن تنظيم بحيث انه « يشرف » على اجمل المناظر الطبيعية كمرائي دجلة الملتمع بين الحقول والمزارع ، واشجار النخيل ؟ وهل اختلفت اوصاف هذه « الحياة » من عهد آل ساسان ، عنها اليوم ؟ ربما تكون مختلفة شيئاً من الاختلاف استدعاه اختلاف الزمن ، ولكنها في جوهرها لم تختلف في اغلب الظن ، ولا اراها اليوم في اختلافها اليسير اترف مما كانت عليه امس ولا اتقن .

وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
واذا ما رأيت صورة انطاكية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل، وانوشروان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على اصفر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم، وإغماض جرس
من مشيح يهوي بعامل رمح ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جد احياء لهم بينهم اشارة خرس !
يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس ! !

لله ابوه ! انه يصف اولا داخل القصر بشكله الظاهر : فقد كانت صفحات جدرانه الداخلية الناصعة ـ ولا شك ـ تزان بصور زيتية آية في الفن والابداع ـ شأن كل القصور الارستوقراطية اليوم ـ وهذا دليل على ان فن الرسم كان فناً متعارفاً كاليوم تزدان فيه قصور العظماء والامراء ، ويمضي الشاعر في تصوير القصر مضياً موفقاً مطرداً لا تفلت منه خاطرة من خواطره ولا مزية من مزاياه . لقد كان احد جدرانه او ناحية من نواحي سمائه صورة موقعة انطاكية بين الروم والفرس وقد تجلت فيها غلبة الفرس وبطولتهم (في قصر فرساي كذلك قاعة اسمها قاعة الحروب فيها صور معارك نابوليون وانتصاراته وصورة معركة بواتيه بقيادة شاول مارتل التي انتصر فيها على العرب فيما هم يحاولون فتح فرنسا بعد ان فتحوا الاندلس بقيادة عبد الرحمن الغافقي) وانوشروان جالس بعظمة الملك على اريكة ملوكية ينظر الى عراك الرجال بين يديه وهم بين رامح « يهوي بعامل رمح » وبين مشق سنان الرمح بترس... ثم يـذهب في الوصف الى حيث تكاد العين المجردة الحية تصدق ان اشخاص هذه الصورة « جد احياء » ! وانما استعاض عن النطق باشارات خرساء... بل ذهب في اجتلاء محاسن الصورة وعبقرية الوصف الى ابعد ما يذهب به خيـال شـاعر على الاطلاق فيقرب اليك الصورة الذهنية تقريباً يبلغ حد اللمس والشعور ! اذ يذهب الشك عنده انهم احياء ! وانه اصبح يلتمس الصورة باصابعه ليستيقن فيما اذا كان ما يراه مجرد صورة على حائط ، او انها دنيا حقيقية من الحياة والاحياء !

يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس !

اذكر اني دخلت قصر حاكم السنغال سنة ١٩٤٤ بسان لويس في احدى المناسبات، وشاهدت من بديع الرسم والنقوش على الجدران ماذكرني على غير تعمد بهذه الصورة الشعرية التي خلد بها البحتري ايوان كسرى .

كان حظ قصر سان لويس من الفن ناحية واحدة هي ريشة فنان عبقري رسمت على احد جدرانه صوراً عديدة منها صورة

الاسطول الفرنسي وهو يغرق نفسه كيلا يستولي عليه الالمان عقيب الهدنة ، وصورة معركة بحرية ، وغارة جوية الى غير ذلك من المشاهد الافريقية كمشهد نهر السنغال وزوارق صيادي السمك ، ولكنه – اي قصر سان لويس – لم يجد بحترياً يخلده كما كان حظ الايوان .

ويمضي شاعرنا بوصف الايوان فيقول :

وكأن الايوان من عجب الصنعة جوب في جنب ارعن جلس
لم يعبه ان بز من بسط الديباج واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقدس
لابسات من البياض فما تبصر منها الا فلائل برس
ليس يدرى أصنع أنس لجن سكنوه، أم صنع جن لانس..!
فكأني ارى المراتب والقوم اذا ما بلغت آخر حسي !
وكأن الوفود ضاحين حسرى من وقوف خلف الزحام وخنس
وكأن القيان خلف المقاصير يرجمن بين حو ولس

مزية الادب والشعر منه خاصة انه ينقلك الى جوه ، فتعيشه مع منشئه في جميع حالاته ، وانت هنا لست حيال شعر وحسب، ينزل من نفسك منزلة الشعر وحسب، بل انك في ايوان كسرى تمشي – وانت في مكانك – مع البحتري وتطوف في ذلك الايوان ، مترحلقاً على قمم نعيمه .

انثر هذا « النظم » نثراً وشاهد :

كان الايوان من عجب الصنعة كأنه الصخرة المفرغة افراغاً، وعلى احسن تكوين، لا حجراً على حجر شأن البناء المرصوص.. اما مفروشاته وما ادراك ما مفروشاته ، فان ارخصها وابسطها بسط الديباج . واما ستور الدمقس «الحرير الخالص» ، فليست سوى ستائر مترفة ملقاة على النوافذ والابواب . وهذا ما نشاهده في البيوتات الارستوقراطية . وفي قوله « مشمخر تعلو له شرفات » منتهى ما يتصور العقل من ارتفاع البناء وعلوه المشرف على الابعاد الشاسعة والمناظر الجميلة . والنوافذ والموائد لابسات من البياض فلائل برس « قطن ابيض » مغلولة الاطراف في تنفش وتخريم .. وتبدو لنصاعة بياضها وحسن فلائلها كزهر الفل . والايوان حيث يمتد بهو الاستقبال الرحب على مد النظر ، ومنتهى الحس اذا بلغته « كنت جالساً فيه » ، فانك ترى المراتب «الارائك» والقوم آخر ما يحد بصرك، وتسمع اذنك لبعد ما بين طرفيه، وكذلك بهو الملوك «كذلك بهو فرساي»

وانت فيه حيال وفود ضاحية « جاءت منذ الضحى »، حاسرة الرؤوس تهيباً وخشوعاً . منهم الوقوف في الزحام ومنهم الخنس «المتنحين» لشدة الزحام ، كما هي حال الناس على ابواب الملوك والوزراء من زوار واصحاب حاجات . وفي باحات القصر مقاصير خاصة للقيان والمغنيات والحظيات وغير ذلك من بواعث السرور واللهو والاستمتاع مما يختص الملك نفسه فيه في أوقات فراغه وهبو به

إزاء هذه الاوصاف التي مرت بك للايوان ، وجلاها الشاعر بفنه بهذا المنظر الانيق الممتع ، الا ترى نفسك حيال حالة من احوال هذا العصر ، في قصر من قصور الطبقة الارستوقراطية الرفيعة ، او مقصف من المقاصف الكبرى العامرة بالسرور والترف ؟ وهذه المطالب الرخيصة الجميلة التي رسمها شاعر عاش في القرن الثالث للهجرة ، الا تراها هي هي اليوم سنة ١٩٥١ ..؟

بيد انه ليست هذه المطابقات بالشيء العجيب ما دام الناس هم الناس ، والشعور هو الشعور في كل زمان ومكان. بل الذي يلذ حقاً، ويثير الفضول المستحب حقاً هو ان ترى روح عصرك الحاضر ممثلة في العصور الماضية كل التمثيل ...

وقبل ان انتقل نقلة اخرى في هذا المجال الواسع اريد ان اذكر مزية اخرى من مزايا هذه القصيدة ، خلبتني فوق ما خلبتني عموميتها ، وهي حيث يلتقي فيها التقاء عجيباً مع أبي نواس* ، ويخلع على فن الريشة العبقرية فن الشعر ..

وهل في الدنيا اجل من ان يثيب اهل الفن بعضهم بعضاً كل بفنه الخاص ؟ نحن لم نر تلك الصور بام العين ، ولكن الشاعر اراناها والمسناها !

ان الوقوف امام صورة رائعة من ابعث البواعث على الشعر ، ولكن اين الشعراء !

لقد وقفت مرة مخلوباً مشدوها من الاعجاب امام « صورة افريقية » على حائط البوسطة العمومية في دكار . انها آية من آيات فن الرسم البدوي عديمة النظير ! انت اذا رأيتها تقول فوراً : هذه هي افريقيا بطبيعتها وناسها وحيوناتها ووحوشها وغاباتها واسواقها وحياتها اليومية ما راحت وما جاءت ...! اذكر اني احسست بهاتف شعري في اعماقي عندما وقفت اتاملها ولكني آثرت السكوت كيلا اشوه الفن الكامل بالوصف الناقص . او اقل لاني لا استطيع ان اقول مثل :

تصف العين انهم جد أحياء لهم بينهم اشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس !

---

* وذلك حيث يصف ابو نواس في سينيته المشهورة الصور المنقوشة على الكأس :
قرارتها كسرى .. وفي جنباتها مها تدريها بالقسي الفوارس ..!

والظاهر ان ناطحات السحاب في عصر البحتري كانت كثيرة الوجود في عواصم الشرق . واليك هذا الشاهد الآخر يضاهي بنيان كسرى وقيصر :

فرفعت بنيانا كأن مناره اعلام رضوى او شواهق صبير
أزرى على همم الملوك وغض من بنيان كسرى في الزمان وقيصر
عال على لحظ العيون كانما ينظرن منه الى بياض المشتري
ملأت جوانبه الفضاء وعانقت شرفاته قطع السحاب الممطر
وتسير دجلة تحته ، ففناؤه من لجة غمر وروض اخضر
شجر تلاعبه الرياض فينثني اعطافه في سائح متفجر

متع احساسك الفني بهذه « القطعة » مرة ومرتين وثلاث مرات واعد النظر ـ خصوصاً ـ على الابيات الثلاثة الاخيرة ، وتذكر اذا كنت ممن سافر وشاهد بلاد العالم ناطحات السحاب او (الفيلات) الجميلة التي كأنها (جنات تجري من تحتها الانهار) وقل تبارك الله احسن الخالقين !

كذلك كان عند الاقدمين «منتزهات عامة» كالتي نشاهدها اليوم في العواصم والمدن الكبرى يؤمها الناس على اختلاف طبقاتهم في العشيات والاصائل وايام الاعياد والآحاد كمراتع للانس والسرور . لقد طالما اتصفت هذه الاماكن بالمشاهد الخلابة والجمال المجلوب الذي ابدعت يد الانسان فيه ما ابدعت وجعلته زينة وفتنة للرائين .

من جملة تلك المشاهد والجمالات منظر الماء المنسكب من فوارة تدفقه دفقاً او ترشه رشاً او تسحه سحاً او غير ذلك من فنون الجريان ، في بركة مدورة كالصحن ، ملساء كالصحن فبدت صافية كالبلور ، ترى الحصاة في اعماقها والسمكة في اغوارها لصفائها كانها على سطح الماء وما هي هناك ... وهذا الماء الدافق ، والرذاذ الهامي وقد انعكس عليه بهار النهار ، وشعاع الشمس ماذا تسميه ?...

قال بعضهم : انه فضة سائلة يوم كان كل تشبيه جميل لا يعبر عنه بغير الفضة .. لانها ـ كانت صافية من الغش ـ ، ولان الناس كانت لا تتعامل الا بها . فحتى البدر كان منتهى جماله انه كالفضة .. هذا في القديم . اما اليوم وقد صارت العملة ورقاً لا فضة ، اصبح العصر عصر الكهرباء فقد تغيرت الاوصاف فمثل مشهد الماء السائل على حائط رخام او زجاج او نحو ذلك سيلاناً فنياً اصبحوا اليوم يصفونه بلعاب الشمس ، او النور السائل . ولا غرابة فكل عصر ينتزع صوره وتشابيهه من وجوه حياته. فهذا الماء المتدفق في البركة والراكد فيها هو فضة حيناً ، ونور احياناً ..

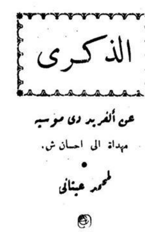
وما بال هذه البركة الفضية النورانية لاتكون ملتقى رواد الحسن وطلاب الجمال من نساء ورجال ? انها ملتقى المحاسن الثلاثة التي (تجلو عن القلب الحزن) : الماء والخضراء والوجه الحسن . ان عندها اجمل الورود والرياحين والسحر الوارف . وان عندها الحسان المنبثة هنا وهناك كالنجوم . وهل كانت مراتع الانس والسرور غير مثل هذا المكان ? وما يغني واصف البركة دليل على انها سيدة المحاسن الثلاثة كدليل وجودها في الوسط في « قلب » المكان المقصود بحيث يحف بها الرواد وينسكب نظرهم أكثر ما ينسكب عليها، فيرون فيها وجوههم واشخاصهم، والشجر والنجوم وكل ما لاح لها واطل عليها . وكلما تحرك السمك وخار فيها جيئة وذهوباء او انغمس وعام تحركت الظلال والحصى ، وكلما ارتسمت ضحكة على ثغر ارتسمت فيها .. وكلما انزاح نقاب عن وجه انزاح فيها ..!

ان كل وصف لهذه المشاهد الجميلة ليفتقر أشد الافتقار لوصف البحتري لبركة المتوكل :

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات اذا لاحت مغانيها
ما بال دجلة كالغيرى تنافسها في الحسن طوراً ، واطواراً تباهيها
كأن جن سليمان الذين ولوا ابداعها فادقوا في معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها وريق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا ، حسبت سماء ركبت فيها !
لا يبلغ السمك المحصور غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها !
يعمن فيها باوساط مجنحة كالطير تنقض في جو خوافيها
لهن صحن رحيب في اسافلها اذا انحططن ، وبهو في اعاليها
صور الى صورة الدلفين يؤنسها منه انزواء بعينيه يوازيها
تغني بساتينها القصوى برؤيتها عن السحائب منحلا عزاليها
كأنها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال واديها
وزادها رتبة من بعد رتبتها ان اسمه حين يدعى من أساميها
محفوفة برياض لا تزال ترى ريش الطواويس تحكيه ويحكيها
ودكتين كمثل الشعرتين غدت احداهما بازا الاخرى تساميها

ان القدامى هم الذين ابتدعوا « فن المعيشة » ، والوان الرفاهية . وما نحن في الحقيقة سوى مقلدين لطراز حياتهم وآخذين عنهم . والفضل ـ بعد هذا ـ للادباء والشعراء الذين وصفوا لنا روح عصرهم والوان حياته ، ووصلوه بالمستقبل البعيد ـ عصرنا هذا ـ واستحقوا اعجابنا !

محمد يوسف مقلد



الذكرى

عن ألفريد دي موسيه

مهداة الى احسان ش.

لمحمود عيتاني

املي كان في البكاء ولكن عذبتني الذكرى فانت جروحي...
أين اين الدموع من شهقة حرى ، وقلب مضنى،وغربة روح..
يا مزاراً مقدسا ابد الآباد ، احلامك استثارت دموعي
جرأني حين عدت نحو مغانيك اليتامى ، تخضبت بنجيعي
انت يا قبر ، يا أحب قبور الحب ، نسيا أراك في المجهول
نام حي في قدس ارضك طفلا حين حامت ذكراي فوق الضريح
اي شيء خفتم صحابي ؟ وهذي عزلة للسكون والاحلام
ولماذا امسكتم بذراعي وفؤادي دام ، وثغري ظامي
ما أنا ذاهل ! دعوني ! فهذا خافقي راعش ، وهذا شبابي...
ارشدتني الى السبيل أماني وذكراي فاطمئنوا صحابي...
حي هذي الربى وحي غصون الموسج الرطب، وافترار البراعم
والخطى السارقات ، من رنة الفضة ، وقعا على الرمال النواعم
ودروب الهوى اذا افعمتها همسات العشاق سحراً يغني
وفتاة تمتمت بشبابي ، هـا هنـا ، في ضراعة طوقتني
عطرها يملأ الربى والازاهير الحيارى ووشوشات التغني
ولحون الرعيان في مائج الافق ، ووهج الشموس في الاعراس
زال عهد لنـا ، فهل ترجع الايام عهداً معطر الانفاس ؟
ها هو المنحنى، ووشوشة الاطيار في الدوح والظلال الشوادي
هن صحبي من اول العمر من خفق فؤادي يحيي الوقاد
وهنا في الغصون ، في الموسج النامي شبابي يفيق بعد هجوع
كأغاريد من عصافير عهد غابر بعثها لحون ربيع
يا ذهول الرمال ، يا غنة الانسام في الدوح ، يا ربى ، يا براري
حيث مرت حبيبتي ، اتذكرت عهودي ام كنت رهن انتظاري
ها أنا عدت،هل عرفت شحوبي،ها انا عدت! هل تحسست ناري؟
آه ! خل الدموع تهطل فالآلام لا تعدل الدموع العذارى
هي فيض همي بقلب جريح وعذاب يشفي الهوى والاوارا
ونقاب على عيوني ارخاه غرام ذوى وماض توارى
انا ما جئت نادبا ، ادفع الآهات حزنا واملأ الغاب يأسا
في مغان لو انطقت شهدت اني رشفت الغرام كأسا فكأسا .
هي مغنى سعادتي وهي مهد لحياة ضيعتها في وداد
غابتي هذه شموخ بحزن هادىء ، والشموخ بعض فؤادي
فليغص في الدموع واللهثات الصفر من عاد نادبا قبر صحبه
وليمت حسرة على الحب والماضي ويدفن نصل الفناء بقلبه
كل شيء هنا حياة وانفاس وعطر ورعشة وهيام
أين زهر القبور ؟ ـ غيره الحب فأضحى زهراً شذاه غرام
ها هو البدر مشرقا ، ها هو البدر ، وضيئا ينسل بين الظلال
ملكا راعش الجفون سما فوق الروابي ، واختال اي اختيال
ها هي الارض بللتها دموع الغيث تحنو على الشعاع بآه .
فاذا بالطيوب تعبق في الاجواء نشراً على الروابي الزواهي
نفثتها من باطن الارض انسام ظلام اشهى من التقبيل
هكذا مثلها ترى حي الخالد يسمو من مهجتي بذهول
هو يسمو كالعطر من جنبات الروح ، لحنا مضمخا بالصلاة ...
أين آلام غابر غللت روحي وجرت الى الفناء حياتي
يا روابي الغرام ، يا سرحات الطيب ، اين الآهات اين شكاتي
كل ما صير الفؤاد عجوزاً زال في عودتي لوادي هوايا...
عدت طفلا مزقزقاً كالعصافير ، لدى عودتي لمغنى صبايا .
يا نيوب الايام ، يا عصفات الدهر والموت ، يا ظلال الغروب
أنت تغنين حاليات امانينا وأحلامنا وذوب القلوب
وتميتين كل اخضر في القلب ، وتذرين كل غصن رمادا ...
غير ان الحنان يمنع رجليك من السير فوق زهر رطيب
قطفته الرياح ثم ذرته في السهول الصفراء عند المغيب
يا هدوء النسيان ، يا سلوة القلب ، تباركت عند رب السماء
أنا اسليت ، وانزوعي الى السلوان ـ عهداً غذيته بدمائي
ما حسبت الجرح الذي اقلق الليل وجسمي ، وكان عمق هوائي
يترك الآن في اهابي بقايا كالحرير الشفاف او كالبنان...
تحت نور الشموس قاسيت موتاً غير موت الهزار في الادواح
وفناء الاوراق في لهثة الريح ورعد السيول فوق البطاح
أنا عانيت مشهداً غير ترويع الدوالي ، وغصة القيثار
غير صمت الحسون في غابة الرند ، وموت العطور في الازهار
انا ابصرت حلوتي ، اقدس الاشياء في خاطري ، تموت وتفنى
عشقت في الرجال غيري فأضحت في عيوني قبراً بموتي يهنا
خنقت طفلنا الرضيع الذي كان هوانا وكان عيد الرياض .
انه الحب ضيعته ولم تقتل بريئا ، بل قوضت صرح ماضي !
يا غرامي في قلبي انطبعت ذكراك حتى نهاية الآباد
فلتدو الرعود ، ولتعصف الاقدار ، وليحرق الجحيم فؤادي !
ولترجع صواعق الموت اصداء جنوني في افقها المنهار
فانا ممسك بذكراي ، أنجو ، كغريق بخشبة ، في البحار .
أزهري يا حقول ، او أطلعي الشوك ، سواء لدي فعل الليالي
وسواء لدي ان دامت الناس خلوداً ، او آذنت بزوال
وسواء لدي ان ضاءت الانجم او ساد في البرايا الظلام
نعرت رعشة العذاب على روحي شعوراً يحفه الالهام .
فتراني اقول : في هذه الساعة ، في هذه الربى ، كان حبي .
مر يوم وكنت فيه سعيداً كنت أهوى جميلة ذات قلب
بلغت في الجمال يوما خلود الآن في وثبة الى عمق غيب
ها أنا اطمر المشاعر في نفسي وامضي الى الاله السميع .
حاملا في الفؤاد اقدس ذكرى لغرام رويته من دموعي...

مع الشاعر جورج صيدح

بقلم عيسى الناعوري

■

ولد في دمشق عام ١٨٩٣ ـ خريج كلية عينطورة عام ١٩١١ ـ نزيل مصر الى عام ١٩٢٥ ـ وأسير الفينزويلا منذ عام ١٩٢٧

كذلك يؤرخ الشاعر الدمشقي المهاجر جورج صيدح حياته، في سطرين جعلهما تحت رسمه في آخر ديوانه « النوافل »، الذي صدر سنة ١٩٤٧، ووضع تحت تصرف لجان الدفاع عن فلسطين ونحن نزيد هذا التاريخ المختصر شرحاً، ليقف القارىء العربي في الشرق على حياة هذا الأديب اللامع .

في عاصمة بني امية ، وعلى ضفاف بردى، رأى جورج صيدح النور، فشب وفي قلبه حب عميق للنهر الذي تترنح دمشق على موسيقاه، وللبلد الذي شهد عهد بني امية وامجاد العروبة الخالدة فيه. ثم انتقل الى عينطوره في لبنان ليتلقى دروسه في كلية الآباء اللعازريين فيها، وقد تخرج منها عام ١٩١١ ومن المدرسة انصرف رأساً الى التجارة، فالتحق لذلك ببعض اقاربه في القاهرة عام ١٩١٢، وظل هناك حتى عام ١٩٢٥. وفي هذه الفترة كان يعالج نظم الشعر، وله قصائد فيها كلها حنين الى دمشق وبردى، وحب لها.

ثم غادر القاهرة الى اوروبا، حيث اقترن عام ١٩٢٧ بفتاة فرنسية في مدينة باريس ومارس الأدب بالفرنسية التي كان قد تلقاها على مقاعد المدرسة في عينطورة. ثم مضى قاصداً الى اميركا في العام نفسه، واتخذ من جمهورية فنزويلا مقراً لنشاطه العملي في حقل التجارة. والى جانب ذلك لم ينس ان يستجيب الى نزعته العربية والأدبية معاً، فأنشأ مجلة « الارزة » لخدمة الجالية العربية هناك. ولم تكن الجالية تتجاوز الالف من الناس وقل ان كانت تصل اليهم جريدة او شيء مطبوع بالعربية. وكان يوزع مجلته مجاناً. وفي عام ١٩٤٧ انتقل الى الارجنتين، حيث لا يزال مقيما الى الآن، يوالي نشاطه الاجتماعي والأدبي بعد ان طلق التجارة وقد برز اسمه في السنوات الأخيرة بروزاً كثيراً، فأخذت صحف الوطن والمهجر تتناقل قصائده الدالة على براعة شعرية كثيرة.

ولقد كان الجو العائلي، والبيئة الشعرية التي يعيش فيها الشاعر، كافيين وحدهما لابعاده عن لغة قومه، فلغة التخاطب في بيته هي الفرنسية، وفي الخارج الاسبانية، وهو ينظم الشعر في كليهما فيوفق فيه، ويجد القراء المعجبين به، ولكنه برغم ذلك كله قد ظل متعلقاً بوطنيته، مخلصاً لعروبته، محبا للغته. وقد مضت عليه مدة طويلة وهو لا يكاد ينظم الشعر العربي الا سراً، فلما انتقل الى الارجنتين شرع يعنى بنشر ما ينظمه، فأتيح هناك ما يؤلف اكثر من ديوان ضخم، ولكن لم يتسن له طبعه لعدم وجود متضدين عرب هناك — كما ذكر لي في رسالة تاريخها ١٢ — ٧ — ١٩٤٩ .

اما وطنيته المتدفقة الحارة فتدلنا عليها القصائد العديدة التي كرسها لها في ديوانه، وقد قال في رسالة الي: « انا واحد من المغتربين الكثيرين المتعلقين باوطانهم، يريدون من حياتهم في الغربة فائدة للمقيمين في الوطن، وينذرون لهم امكانياتهم الروحية والمادية . »

هذا شيء عن جورج صيدح الرجل في حياته العامة، اما صيدح الشاعر فانا نجده في هذا الديوان الذي اخرجه للناس عام ١٩٤٧، ودعاه باسم «النوافل» والذي يقرأ هذا الديوان لا بد له من الوقوف في اول مرحلة من الطريق عند ثلاثة امور: الاول الرسم الرمزي الذي يتربع على الغلاف الخارجي للكتاب، وهو رسم يد فوق كتاب مفتوح، تحمل قلباً آدمياً وهذا القلب الآدمي هو قلب الشاعر يحمله على راحته ليقدمه الى قراء ديوانه باجلى بيان واروع صورة، في ابيات قصائده .

والامر الثاني هو الغاية التي لاجلها طبع الديوان، وهي

ليست تجارية ، ولا هي مجرد الرغبة في ان يرى الشاعر لنفسه ديواناً مطبوعاً ، وانما هي غاية انسانية نبيلة ، امها عمل الخير ، وابوها بذل المعونة للمحتاجين : فقد جعل الشاعر ديوانه تحت تصرف لجان الدفاع عن فلسطين ... فلسطين المسكينة التي لم تأتها النكبة الا من كثرة « المدافعين عنها » ... ولجان الدفاع ، وما يتبعها من لجان ، للتحقيق ، والاغاثة ، والتوفيق وغيرها ...

واما الامر الثالث فهو القصيدة الاولى من الديوان ، وهي بعنوان « السهل والجبل » ، فهي تعكس علينا من روح الشاعر الجميلة الطف الشمائل واجملها ملخصة في قوله :

دونكم منجمي المباح لمن يمنى بتبر ولا يهين الرمادا
سفر عمري- ولا أزيد بياناً- ليس غيا محضا وليس رشادا
وأصيل في مهجتي الحب للناس وشرط المحب ان لا يعادى

عندما بدات صلتي الادبية بالشاعر ، تلقيت منه الرسالة الاولى وفيها كثير من التواضع ، وكثير من الاعتذار عن اشياء وهمية ، فقد حسب حضرته ان في لغته ضعفاً يدفعه الى الخجل ، وانه في حاجة الى نقاد يرحمون هذا الضعف ، ولا يقسون في التشهير به. ولست ادري من الذي اوحى الى الشاعر بهذا الوهم ، لان الواقع ان لغته وشاعريته تستحقان التقدير والاعجاب ، ولا يمكن ان يتحامل عليها الا متنطع قاموسي حرمه الله نعمة الذوق وموهبة الشعر ، فحسب الشاعرية ألفاظاً جافة تستخرج من بطن المعجم لتجرب عليها نظريات الاجرومية ولا شيء غير ذلك وانا أود ان اطمئن الشاعر الى ان النقص الذي توهمه في لغته انما هو مجرد وهم لا اثر له ، وان اللغة على قلمه اداة طيعة يتصرف فيها بلباقة ساحرة .

ولقد تنحرف في شعره لفظة عن قاعدة سيبويه وضوابط المعجم، ولكن يشفع لها جمال الانسجام ، والموسيقى في مكانها، كما يشفع لها انها لا تحتاج الى ترجمان يفسرها . والشعر ـ عدا كونه رسالة انسانية سامية ـ هو احساس وموسيقى وخيال جميل، فلا يحتمل التنطع ولا القيود .

غير ان هناك ملاحظة لا بد منها ، وهي ان شاعرية جورج صيدح لا تتجلى على حقيقتها في هذا الديوان وحده ، لان له قصائد كثيرة لم تجمع فيه بعد، وقد تناقلت صحف المهجر والشرق العربي كثيراً منها ، وهي من الشعر المحلق وقد اعترف الشاعر نفسه بهذه الحقيقة في رسالته الاولى الي اذ قال ما نصه : « اني لم اصدر «النوافل» للاعلان عن شاعريتي ، والتدليل على مكانة الطمح اليها بين الشعراء ، بل توسلا لمساعدة لجان فلسطين في المهاجر وقد طبع الديوان في غيبتي نقلا عن مسودات قديمة العهد ، لم تراجع ولم تصحح لا لغوياً ولا مطبعياً ، ثم حشرت فيه قصائد تافهة ، سداً لفراغ حصل من حذف القصائد الحمراء في آخر ساعة »

اما هذه القصائد الحمراء التي يشير اليها الشاعر ، فقد بقيت في الديوان واحدة منها، وهي بعنوان «العاصفة في غابة بولون» ولست في حاجة الى الحديث عنها ، لانني لم اعتد ان اعتبر هذا النوع من الشعر الماجن أدباً او شعراً ، وان كنت قد اطرب لوقعه ، واعجب بحبكته ولطف عباراته احياناً .

واما القصائد التي يدعوها «تافهة» فلعله يشير فيها الى بعض منظومات الشباب الاول ، التي نظمها في كلية عينطوره ، وفي هجرته الاولى الى مصر . وهذه في الواقع يظهر في كثير منها ضآلة الخيال الشعري ، كما يظهر فيها اثر التقليد للشعر الذي كان معروفاً في الشرق، وهو شعر المناسبات والاخوانيات وما اليها. ومثل هذه المنظومات لا تدخل في حسابنا ونحن نتحدث عن شعر المهجر،لان المهجر قد صقل شاعرية ادبائنا المغتربين، وسما بشعرهم الى اوج قل في الشرق من يتسامون اليه . اما هذه المنظومات القديمة ، او ما يجري على سنتها من قصائد المناسبات والاخوانيات، فيقصر فيها الخيال،ويكثر النظم على عكس القصائد الناضجة ، الطافحة بالخيال الشعري البعيد الجميل ، والتي تتراقص فيها الالفاظ والمعاني تراقص الطل على ورق الزهر .

وعلى هذا نقول ان الفصلين الاولين من الديوان ـ ومثلهما بقية قصائد المناسبات ـ فيهما كثير من الضعف ، نظماً وخيالا وشاعرية . وتبدأ قوة الشاعرية على ابرزها بالقصيدة الاولى من الفصل الثالث ، وهي «التاجر الخاسر» ، وقد نظمها على اثر مغادرته مصر عام ١٩٢٥، وفي نفسه الم وغضب يظهران من الابيات بأجلى وضوح واجمل بيان وهذه القصيدة تظهر لنا مقدرة الشاعر على التلاعب بالالفاظ ، وتزويق الشعر بالخيال والحكمة ، كقوله :

نازحا كل زاده عزة النفس والالم
ما أزالت اباه عندما زالت النعم
دونكم ماله فلا تذكروا عرضه بذم
واعذروها فريسة هزلت يا ذوي النهم
قد غذيتم بلحمها واختصمتم على الوضم
ان تظنوه مذنبا فاجعلوا ذنبه الكرم
حيث لا تشتهي البراكين تسقط الحمم

اخوتي الا غدوتمو اخوة الدهر اذ ظلم

ينقسم ديوان « النوافل » من حيث عدد الفصول الى اربعة فصول يحتوي كل منها على مجموعة من القصائد التي نظمها الشاعر في فترة معينة ، فالفصل الاول يشمل بعض قصائد الباكورة الاولى في الوطن ، والثاني يشمل اشياء من قصائد الهجرة الى مصر ، والثالث بعض القصائد التي نظمها الشاعر في اسفاره في اوروبا وغيرها ، والرابع بعض قصائده في المهجر الاميركي .

غير ان هذه القصائد اذا اردنا تقسيمها من حيث المواضيع ، ينحصر اهمها في : (الوطنية ، والحنين ، والوصف ، وشعر المناسبات ، وشعر الحب والخمر) ، والذي يهمنا منها على الاكثر هو الشعر الذي يمس اشياء من نفوسنا وحياتنا ، ولذلك ننظر من ديوان النوافل في نوعين من الشعر ، هما : ـ ١ الحنين والوطنية ، ٢ ـ الوصف وشعر النفس .

والحنين والوطنية في ديوان النوافل قد فازا باكبر حصة واروعها ، وقصائدهما تدل على عاطفة اصلية صادقة ، وعلى روح مخلصة في الحب والوفاء ، وهو يعاودهما كثيراً ، وتتجلى في معاودتها اللهفة الحارة ، والحب الاكيد ، فها هو الشاعر في مصر ، وما يزال عهده في الشام قريباً جداً ، ولكنه يتذكر عاصمة بني امية بشوق لهيف حار فيقول :

اذا البلبل الغريد فارق روضه فكل رياض الكون في عينه قفر
وداعا دمشق الشام!لم ترحم النوى دموعي ، ولم يشفع بي السهد والزفر
واني لطير من طيورك لم تزل تجاذبني تلك الحدائق والنهر

وفي الباخرة التي تمخر به عباب البحار في طريقه الى اميركا عام ١٩٢٧ ، يتذكر الشام فيعاوده الحنين اللهيف ، فتجود قريحته بقصيدة نونية رائعة يقول فيها ، مخاطباً البحر الهائج :

للشام ارواحنا يا بحر ، ما طمحت امواجك الهوج الا في بواقينا
ها نحن ، فلتقذف الاجسام هامدة وانثر عليها نديف الموج نسرينا
وخل ارواحنا تطفو مولية شطر الديار ، تحيي من يحيينا

واي حنين ووطنية ارق واعمق من قوله :

عهد الشباب وعهد الشام ان مضيا فكل ما اعطت الايام حرمان

ومن قوله ايضاً في القصيدة عينها ، وعنوانها «دمشق الشام» :

لم أجف قومي ، ولا استنقصت قدرهمو اني فخور بقومي كيفما كانوا
ولي وديعة حب عند ذمتهم وذكريات وافراح واحزان
بنو الخؤولة والاعمام ، ذنبهمو ان صح ، صح له في القلب غفران
أهوى هوام ، واغضي عن مساوئهم والناظرون بعين الحب عميان
دمشق ! ان اشجت الاوطان مغتربا اني لأوجع من اشجته اوطان
والله لولا فروض العيش ما بقيت بيني وبينك ابحار وبلدان

وهذا الحنين اللهيف نلمسه في مواطن اخرى من قصائد متفرقة عديدة . فمن ذلك قول الشاعر من قصيدة بعنوان «وطني»

هل درى الدهر الذي فرقنا انه فرق روحا عن جسد ؟ !
جل البرهة من اعمارنا لتلاقينا ، وللبين الابد !

اما قصيدته التي بعنوان «بردى» ، والتي يقول فيها مخاطباً نهر « بردى » :

ملأت منك يدي بعد امتلاء فمي ولو قدرت ملأت الصدر والكبدا
حتى اقول لدهر سامني ظمأ في غربتي : «لن تراني ظامئا ابدا !»

اما هذه القصيدة فقطعة من اجمل شعر الحنين والوطنية ، ومن ارقه واعمقه عاطفة . وفيها يذكر الشاعر انه قد حلم ذات مرة انه قريب من نهر «بردى» يبل به قلبه كما يبل الندى الهشيم وامامه تنبسط دمشق الجميلة ، التي يعرفها بقبابها المرتفعة ، ومرجتها المنبسطة ، وشاطىء برداها الجميلين ، وبالطيب المنبعث من واديها والذي تغذى من دماء شهداء الوطنية ، ورأى نفسه يمشي على الضفاف الخضر ، مؤتنساً بأشجار الحور والصفصاف ويهبط المنحنى ، ويستمع الى خرير مياه النهر ، فيناجيه نجوى العاشق الملتاع ، ويتحدث اليه حديث الايام والليالي الغابرة ، وما تركته في التاريخ من ذكرى مرنانة .

وفي غمرة هذا الحلم الجميل ، الذي تمر صوره وذكرياته امام مخيلة شاعر مغترب ، يتغذى خياله على ذكريات الوطن التي تعيش في قلبه وفي ذاكرته ، يصيح الديك مؤذناً بالفجر ، فتتلاشى دمشق ونهرها الجميل من امام عين الشاعر ، وتمحي الاطياف والرؤى ، والاشجار والضفاف الخضر ، والقباب والمرجة ، فاذا الشاعر ما زال غريباً بين آدميين غرباء واذا كل ما حوله جفاف وهم ، فيهتف قائلا :

ما لي احتملت سنين البين مصطبراً واليوم لا صبر لي فيها ولا جلدا
ضممت طيف الاماني حين زار فلم يترك على الصدر الا الهم والكمدا
ان أفلت الطير من أسر فعودته اقسى عليه من الاسر الذي عهدا
بئس الحياة حياة لا نعيم بها الا لمسترق من نومه رغدا

هذه نتف من شعر الحنين والوطنية في ديوان النوافل ، ننتقل منها الى الناحية الثانية من شعره ، وهي الوصف وشعر النفس . وقد جمعنا بينهما لاننا نجد بينهما رابطة قوية ، فوصف الشاعر لاحاسيسه وعواطفه واخلاقه كثير في هذا الديوان . ففي قصيدته «المسيح قام» نراه يصف نفسه وما لقيه في غربته الاولى في مصر ، وفي هذا الوصف يعبر عن عزة نفسه وسمو اخلاقه ، فيقول :

ثارت رياح القدر الجائره تفتك في اوراقه الناضره
من هو ؟! نبت من نبات البلى تسلمه الفيحاء للقاهره
جف وفيض النيل من حوله والجو زاه والربى زاهره
حاشاه يستندي اكف الورى ان قاطعته السحب الماطره

من غراميات راسين

لبيير دي لاكرتيل



 مطلع سنة الف وستمائة وثلاث وخمسين، توقفت الفرقة التمثيلية الريفية التي كان «موليير» يضرب بها في آفاق الريف الفرنسية، عدة اسابيع، في مدينة «ليون».

وقد استوقفت فرقة اخرى، نظر احد ممثلي فرقة موليير. وهو الممثل «رينيه ديبار». توقف هذا الممثل في ساحة «اليعقوبيين» ليتفرج على فرقة تمثيلية تميل الروايات التي تقدمها الى التهريج الايطالي السخيف. وكان على رأس هذه الفرقة، رجل سمين مضحك، يعرض سعادينه وكلابه ذات الحركات الذكية، على الناس، ليجتذب من بينهم من يشتري أدويته الثمينة النافعة، ومساحيقه السحرية.

اما صاحبنا «ديبار» فقد وقف يتأمل هذا الممثل، ويتأمل بصفة خاصة هذه الفتاة التي لم تتخط العشرين من عمرها والتي كانت ترقص وتغني وتلعب على الحبال وتدور في الهواء دورات بهلوانية عجيبة وتوزع المساحيق وزجاجات العلاج بسرعة البرق، وشموخ الامبراطورة.

كاد رينيه الرقيق الحس يفقد ما لديه من العقل، لما رآه من براعة الفتاة وجمالها ولم يكن يطمع في ان تحبه ولكنه يعرف انها ستراه زوجاً صالحاً يحميها ويجنبها حياة الممثلين التي هي قادمة حتماً عليها.

وقد تزوجته فعلا في التاسع والعشرين من شباط في كنيسة «الصليب المقدس». وأدخل «موليير» العروس في فرقته التمثيلية الريفية، وهو الذي وقع عقد زواجها. ولم تكن الممثلة الجديدة لتتمتع – بنظر موليير – بأية موهبة، ولكن كان حسبها ان تظهر على خشبة المسرح حتى تسحر الرجال وتكهرب الجو من حولها.

وعندما مثلت، في روان، دورها في «غراميات ديانا وانديميون» جثا كورناي العظيم عند قدميها وبما أنه لم يعد يمتلك، في ذلك الزمن المتأخر من عمره، سوى مجده يهديه للمرأة التي يهوى، راح يذكرها به في قصيدته المشهورة «الى المركيزة الجميلة». وهي قصيدة رائعة يصف فيها غرامه العنيف ويدعوها اليه بلهجة روحية صاخبة، ملحاحة.

وكذلك فقد احب «مدام ديبار» «توماس كورناري» وهو اخ للشاعر المسرحي الاشهر. ولكن الممثلة الساحرة صرحت لصاحب «السيد» و «سينا» و «بوليوكت» بأنه عجوز بالنسبة اليها، وصرحت لاخيه بأنه صغير جداً بالنسبة اليها، وهكذا تخلصت منهما معاً. ولم ينجها هذا من هجاء «كورناي»

وسافرت «المركيزة» ديبار الى باريس يصحبها موليير. وهناك مثلت في مسرحية «نيكوميد»، امام الملك. وهي المرة الاولى التي تظهر فيها المركيزة بحضرة لويس الرابع عشر. ولم يمنعها

نما صليب العود لا ينحني للريح، فالريح له كاسره

وعزة النفس هذه يصفها الشاعر في قصائد اخرى كثيرة، نذكر منها قصيدة «وطني» التي يقول فيها:

شاعر يرجى ولا يرجو، وفي مسجد الاصنام يوما ما سجد
تتحداه البغاث استنسرت كلما زاد اناة وجلد
عاف ورد الماء فيه ولغت حشرات القوم، فاستسقى البرد
يتمنى الموت حتى لا يرى غارة الهر على ذيل الاسد

اما اوصافه الشعرية الاخرى فلعل من اروعها قوله في ناطحات السحاب في نيويورك، وهو وصف لا نعرف احداً سبقه عليه، او اجاد فيه مثل اجادته:

كوى تطل على الاكوان اعينها واذنها تستقي اخبار باريها
انوارها تكشف الآفاق معلنة عن سلمة ربما الافلاك تشربها

واما قصائد الشاعر في وصف مجالس الشراب والحب، ففيها كثير من السحر والرقة والبراعة، وانا اكتفي ههنا بالاشارة الى قصيدة «الكوكتيل على الشاطىء» كنموذج منها.

***

وبعد فهذه نماذج قليلة جداً من شعر الشاعر الدمشقي المهاجر جورج صيدح، وكلها تؤكد لنا ان لقصائد هذا الشاعر رنيناً عذباً في النفس، وصدى حبيباً في القلب، لانها شعر صادق غير متكلف، لشاعر موهوب مبدع.

عمان — **عيسى الناعوري**

هذا من ان تعتمد كل جمالها وسحرها في التمثيل فجاء رائعاً اخاذاً . حتى ان موليير عشق منذ تلك الليلة ممثلته العظيمة الى درجة ان زوجها « سحبها » من فرقة موليير ، وترك هو نفسه التمثيل فيها ، لينضما معاً الى فرقة « مسرح ماريه » .

ولكنهما عادا في العام التالي الى مسرح القصر الملكي ، حيث كان يعطي موليير دوراً هاماً « للعركيزة » ديبار في كل مسرحية جديدة يكتبها . فظهرت في مسرحيته «الثقلاء» اثناء الاعياد التي أقامها «فوكيه» على شرف لويس الرابع عشر ، وظهرت ايضاً في « مدرسة الزوجات» و « نقد مدرسة الزوجات» و «الزواج المحتوم » و « لذائذ الجزيرة المسحورة » ، في فرساي . وفي الرواية الراقصة التي كتبها موليير بعد ذلك،رأينا المركيزة «ديبار» تمثل «الربيع» وترتدي ثوباً من الستان الاخضر الموشى بالفضة، وتمتطي صهوة جواد اسباني، بكل ما اوتيت المرأة من سحر ولطف وما اوتي الرجل من قوة وفروسية. وكان زوجها يتبعها على فيل ضخم. وظل الجمهور يصفق،طيلة ايام المهرجان الحسة ، لهذه الممثلة ذات الرقص البديع الطريف، والصوت الفضي الرنان ، واللفتات الشرقية الرائعة ، أمام برك الماء الملونة ذات السني واللألاء .

كانت مدام «ديبار» تحرك عواطف الرجال، وتلهبها بوجهها الذي يشبه وجه فينوس ، وجسدها المغري الفتان، تتخذ له حركات ورقصات خاصة تزيد روعته روعة ، وسحره سحراً .

استمع لاحدى مجلات ذلك العصر تروي وصفاً لها «... انها الخبيثة « مدام ديبار » هذه الممثلة التي تقوم بحركات بهلوانية جبارة : فيرى فخذاها — او أعلى فخذيها وهو الاصح !! — عندما تنحسر عنهما تنورتها القصيرة ويسقط جوربها الرقيق الشفاف . وكم انكشف اسفل ثوبها — لعنها الله ! — عن جسد جذاب ، شهي، تضمه غلالة مغرية تزيد في مفاتنها، وتكون نشيداً صاخباً في موكب انتحار الحياء...» الخ

***

وهكذا نرى ان مدام « ديبار » دارت دورات بهلوانية كثيرة ، ومشت على يديها امتاراً كثيرة ، قبل ان يضمها « راسين » في غلالة من المجد لا تفنى ، ويعهد اليها بدور اندروماك .

وفي سنة ١٦٦٤ فقدت زوجها وظن موليير انه يحسن به ان يحل محله . وسايرت الممثلة رئيس فرقتها التمثيلية الى ان جاء راسين بمسرحيته الاولى « الاسكندر » وعهد اليها بدور « أكسيان » Axiane ، وهي فتاة ذات روح مشبوبة ، وفتوة جامحة ، تهيء به الاذهان لدوري « روكسان » « وهرميون » العنيفين الخالدين .

وقد يكون لعلاقة مدام ديبار وراسين يد في ذلك النزاع الذي استشرى بين راسين وموليير . ولكن هذا النزاع بين الشاعرين الكبيرين لم يمنع العاشقين من اللقاء ، وبعد ان « خلقت » « ديبار » دورها في « عدو البشر » « وآتيلا » كورناي ، تركت المسرح الملكي عند نهاية عقدها، ودخلت في فرقة «بورجونيا» وابتدات هناك بمسرحية — « هيرو » « وليأندر » — لجابريل جيلبير وقد مثلت في هذه المسرحية التافهة وهي تنتظر دورها في اندروماك الذي كان راسين يكتبها لها خصيصاً منذ عدة اشهر .

***

ولعل اندروماك من اغرب ما اتجه خيال راسين المسرحي ، فهذه الزوجة التي لا تشوب حياتها شائبة ، المخلصة في كل واجباتها الزوجية كارملة وكأم ، هذه الزوجة تطلق في اجوائها كل المشاعر الانسانية الحسيسة والنبيلة ، بما يغلفها من خيانة وخسه وظلم ، وجريمة ، فالفضيلة في « اندروماك » تماشي النذالة ! واندروماك هذه المرأة الطاهرة ، تطلق على مخيم اعدائها ناراً من الاخلاص والاصرار ، لا تبقي عليهم فكأنها بتعقلها قد ثأرت لقتلى « ايليون » من اعدائهم المنتصرين .

كان الناس يعتقدون ان مدام «ديبار» ستفشل في دور «أندروماك»، هذه المرأة الروحية ، بما يتخلل حياتها من لا مادية تتحدى المصير ، ولكن راسين كتب مسرحيته — كما أسلفنا — لها خاصة ليحولها من ممثلة مجهولة ، او راقصة بلهوانية ، الى ممثلة شهيرة تحتل المركز الاول بين ممثلات عصرها ، وقد دفعه الى هذا العمل الغرام العظيم الذي كان يحمله بين جنبيه لهذه المرأة الذكية الشهية بعد أن تأكد انها تبادله غراماً أعنف من غرامه وأشواقاً أعمق من اشواقه .

كان دور مدام ديبار يقع في ٢٥٠ بيتاً من الشعر تحتم على الشاعر ان يعلمها اياها بيتاً بيتاً ، طالباً اليها نوعاً جديداً فنياً من الالقاء لم يكن رائدها في يوم من الايام لا هي ولا غيرها من الممثلات، كان يعدها لتاتي ، بل لتبدع ، على

المسرح ، وهي بعد في الرابعة والثلاثين من عمرها ، وفي ذروتها من الروعة والجمال، كل دقائق وألوان الفن الراسيني المعروف .

***

ومثلت أندروماك للمرة الاولى في قصر اللوفر ، وفي مقصورة الملكة ماري تيريز وذلك في السابع عشر من نوفمبر ١٧٦٧ . وقد طالما نجح راسين في حفلاته الملكية ، وبوسعنا اليوم ان نعود الى مجلتي ذلك العصر الفنيتين ، « المركيز » و « مجلة فرنسا » لنلمس ما نذهب اليه من النجاح الدائم الذي كان حليف راسين في حفلاته الملكية ، ولنقرأ افتتاحيات ذلك العهد نجدها اخباراً مطولة عن حفلات راسين في قصور اللوفر، وسان جرمين، وفرساي، سواء بعد او قبل حفلات فرقة « بورجونيا » التمثيلية .

وقد لاقت « أندروماك » نجاحاً هائلا جذب اليها الجمهور الفرنسي لا من باريس فحسب بل من كل نواحي فرنسا. ودرت على الشاعر وممثليه الاموال الطائلة ، وهنأه الملك بأحر التهاني ، وزاد في تقريبه اليه .

***

وقد كتب ، « بوسي رابوتين » ، في ذلك الزمن ، الى دوقة مونتمرنسي واللوكسمبورج ما يلي :

« اني معجب كل الاعجاب بنجم مدام ديبار الصاعد . هذه التي أوحت الى الف رجل بألف غرام ناجح . فاذا تزوجها الفارس « دي روهان » فسيكون في هذا الزواج انتصار للحب العظيم ، وان من دواعي فخر الحب ان تقع دائماً في « مملكته » فلاقل يكون هو المنتصر عليها دائما ، وفي هذا تثبيت لمجده واظهار لجالي تفوقه وعظمته » .

هذا ما يرويه ابن عم مدام دى سيفنييه Sévigné ، حول تلك الفضيحة التي قدر لها ان تنفجر يوماً من الايام في اجواء باريس الصاخبة اللاهية ، فالفارس « روهان » المذكور ـ وعائلة روهان من أنبل العائلات الفرنسية ـ قد أثبت منذ أعوام روح المغامرة التي نشا عليها، وخروجه المتكرر على القوانين والتقاليد . وهو من أقرباء الملك لويس الرابع عشر .

وكان هذا الفارس يعد أجمل فتيان عصره ، واخطرهم جميعاً فيما يتعلق بالمغامرات الغرامية . وكان هذا السيد العظيم يشبه ابولون دون ان يمتلك شعاعاً ولو ضئيلا من اشعه منيرفا وهو على قسط وافر من الذكاء ، والقحة والغرور اجتمعت الى ما تيسر له من الفوز والانتصار في معارك الحب لتخلق له شهرة مستفيضة وعداوات لا عداد لها..

يصفه المونسنيور « ده كسناك » ، رئيس اساقفة « ايكس » فيقول انه رجل نبيل المحتد ، جميل الطلعة ،لا يتبع شهواته ، ولا يتراجع امام احد ، ولا يحترم القوانين ولا الولاة ، دعاه الملك الى لعب القمار فأهان الملك ، وكذلك فقد تحدى فارس اللورين الشهير وجرحه ... وخطف احدى اميرات القصر الملكي ، واغرى الدوقة دورليان ... اما مدام « دى مونتسبان » وشقيقتها النبيلتان فلا يعلم الا الله مدى علاقتهما بالفارس دى روهان .

وبعد أن هدم منزل والدته ، رأينا هذا الفارس يعيش على ما يستدينه من النساء والفتيات المعجبات .

***

تعرف لويس دى روهان الى راسين عند ابن عمه الدوق « ده لوين » وفي ربيع ١٦٦٨ اتهم « ده روهان » مراحل جنونه باختطاف الممثلة « ديبار » التي لم تمكنه من نفسها ومن اختطافها الا بعد ان « وعدها » بالزواج .

وسرعان ما خاب ظنها في روهان هذا فعادت الى راسين ، لتموت بين ذراعيه . اما الفارس فقد راح يسلو حبه الجريح بين ذراعي الدوقة دى مازاران، التي قادته — عندما هجرها — الى المشنقة ، حين فضحت اسرار خيانته العظمى للتاج الفرنسي .

***

وقد ولدت لراسين،من ديبار الممثلة، فتاة نجد اخبارها في كتاب مذكراته الذي نشر اخيراً وفضح كثيراً من اسرار هذا الشاعر العظيم .

وعندما ماتت مدام ديبار فقد راسين بفقدها لا الممثلة الاولى في فرنسا فحسب، بل انبل واطيب النساء اللواتي عرفهن وأحبهن .

وقد احبها وكأنه يحب للمرة الاولى ، وشاركها بلواء الحب وسرائه ، وقبله العذبة وآهاته المريرة .

ولنعلم مدى تأثر راسين لموت حبيبته الجميلة ، علينا ان نقرأ مسرحية « بريتا نيكوس » التي كتبها في العام التالي لموتها، ففيها نجد نبرات الاسى الجامح المخضبة با هات قلب لن يعرف السلوان .

صوتها . !

الى ذات الصليب ، بعد اكثر من عام

❖

من بعيد..

من فم الامس الشريد

صوتها المحموم في الليل الوئيد

إله.. اروع من حبي..وايماني العتيد .!

ي عمق ؟ اي اصداء باحساسي تميد ؟

•

نه البعث.! فيا للرعشة الهوجاء تسري

سوتها..في لحظة..ماجت بهاشواق عمري

..صوراً مزقت الاكفان لم تذعن لقبر

لحظة.. حتى احيلت وهجا

باهراً يجتاح آفاق الدجى

ثم ماذا ؟

وصليباً تائهاً من غير صدر !

•

اتركيني.. ههنا في التل .. لا ابدل غيره

في سكون عينه فوارة الظلمة ثره

ذاهل النظرة استجلي من العالم سره

واحس السكون في عمق الردى يدفن عمره

ثم لا شيء يكون

السكون

وصدى الصوت الحنون

من بعيد. !

عدن — لطفي جعفر امان

انا في انتظارك

من المجموعة الشعرية « الليالي والنجوم» التي تصدر
قريبا في منشورات مجلة الاديب

❖

انا في انتظارك يا حبيبي والورود

ولهى تسائلني حبيبك هل يعود ؟

هذا شبابي منك أذوته الوعود

فارحم شباب الورد من حرقات نارك

انا في انتظارك

انا في انتظارك قد ملأت بك الدنى

وفرشت دربك بالزهور وبالجنى

فرغت كؤوس القوم الا كأسنا

وغفا الندامى كلهم الا أنا

انا في انتظارك

انا في انتظارك كالدجى ترجو صباحا

خطر النسيم على الجداول ثم راحا

والطل ذاب نثيره والعطر فاحا

والفجر انت،متى تعرى من ازارك؟

انا في انتظارك

انا في انتظارك بين اشباح المغيب

اهفو لطيف مر في الدرب الكئيب

واقص احزاني لنجمات الغروب

يا حلو ، يا عذب المقبل ، يا حبيبي

انا في انتظارك

الرقة - سوريا — عبد السلام العجيلي

جورج سنتيانا فيلسوف معاصر يعيش مع افلاطون

مترجمة عن الانجليزية
بقلم عبد المعروف
ليسانسيه في الحقوق

حياة

سنتيانا تماثل فلسفته الى حد بعيد من حيث انها رجع الماضي العريق.فقد ولد في اسبانيا وتلقى العلم في الولايات المتحدة . فلم يكن اسبانياً ولا امريكياً . اما عقليته فجاءت مزيجاً حديثاً من عقليات قدماء الاغريق .

كان سنتيانا الطفل مشغوفاً بسماع الاساطير وقصص المغامرات الخيالية مثل اسطورة ارض الجن المسحورة والعالم المهجور. وقبل ان يولد عين ابوه موظفاً في جزر الفلبين وطوف ثلاث مرات حول العالم فامتلأت جعبته بالعديد من القصص والاساطير عن البحر الذي لا تحد ارجاؤه وجزر الكنكتوت والملاوي الخائب والقارات الزاخرة بسكانها من الصينيين ، وغيرها من الاشخاص والاشياء الوهمية المختلقة.ان هذه الاقاصيص الخيالية كونت غذاءه العقلي خلال سني حياته الاولى وكتب « منذ نعومة اظفاري وانا اعيش في جو يحيطه الخيال الغامض ..كونته مجموعة من القصص والعبر ... فالفت فيما بعد التفكير في التقاليد والاوضاع الاجتماعية وآثرته على التفكير في نفسي »

ان العبارات المار ذكرها توطئة لتفهم عقلية سنتيانا الفيلسوف والتعرف بشخصية سنتيانا الانسان . فتفكيره مطبوع بالقديم او هو غالى في تأثره بحيث اخرجه عن نمط التفكير في عصره فهو شاعر قديم يقرض الشعر في العصر الحديث .

حين بلغ سنتيانا التاسعة من عمره انفصلت امه عن ابيه الذي هو زوجها الثاني وهاجرت مع طفلها الى امريكا فكان جورج الابن الوحيد من زواج امه الثاني ولها ثلاثة من الولد غيره وهم طبيعياً اكبر منه سناً لذلك لم يكونوا اترابه في اللعب فعزف عن الالتقاء بلداته من اطفال الحي وعن اللعب معهم مفضلا الانزواء والانطواء وكتب عن طفولته « ما كانت احسن اية لعبة من الالعاب التي يعرفها الاطفال ففضلت المكوث في البيت طيلة وقت العصر وجزء من الليل لاقرأ وارسم »

تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة اللاتين في مدينة بوسطن وهنا تشبع بالروح الديمقراطي بين الطلبة الذين تصخب احذيتهم المثقلة بالمسامير لما يهبطون على سلالم المدرسة حشوداً قد يبلغ كل حشد منهم اربعين او ثمانين او مئتي طالب . وفي هذه المدرسة بدأ يطل رويداً رويداً من صومعة عزلته الارستقراطية ويدنو قريباً من مستوى الشخص الاجتماعي ان لم يكن سواه .

ولما التحق بجامعة هارفرد فتح لنفسه الحذرة مجال الاختلاط اكثر من ذي قبل . ولو انه لم يشارك في العاب الكلية الرياضية لكنه كان يقصد الى مشاهدة الطلبة الاخرين عند قيامهم بالتمارين . وهو مولع بلعبة كرة القدم اكثر من غيرها ويذهب كاحد المتفرجين لانه ما كان رجل عمل وعنف وانما صاحب شعر وخيال يسره كثيراً التفرج بالمنافسة العنيفة بين المتبارين في حلبة السباق . وكتب « ان مشهد مباراة كرة القدم رائع جميل في الفضاء الرحب بعيداً عن ضجة المدينة ولا شيء من حولك غير هينمة النسيم والروابي المترامية يضاف الى هذا ما في السباق من جمال وبهجة .. هناك تمجد البطولات ولو على نطاق ضئيل فيغمرك سرور ساذج كانك رجعت الى العالم القديم في حلم ..»

فهو يحلم بالقديم اثناء تزاحم المتبارين في لعبة حديثة وهكذا يفكر سنتيانا في العالم الذي يعيش فيه .

ان علاقاته الاجتماعية في هارفرد تشبه علاقاته الرياضية من

حيث الفتور وضعف الشخصية والانطواء. لكنه احياناً يصحب رفاقه من الطلبة عندما يقومون بسفراتهم القصيرة لزيارة المدينة والتنزه وكتب عنهم «تراهم وقوفاً محشودين في عربة تجرها الخيل فتهزهم هزاً شديداً واضعين باقات معاطفهم على آذانهم وقد غطست اقدامهم في صقيع الشتاء المتراكم ليقطعوا مسافة الطريق الى بوسطن في اكثر من نصف ساعة لا لغرض سوى الفرح والمرح بمصاحبة انثى الى مقصف او الى مطعم لتناول عشاء فاخر»

انه دائم التحدث الى النساء لكنه لا يراقصهن ولا يعرف كيف يراقصهن!.. ويميل الى مجاذبة اطراف الحديث مع النساء على مجاذبته اياه مع الرجال «احب سيدات بوسطن ويؤنسني التحدث اليهن!..لانهن كثيرات السفر والقراءة ويتزودن بالثقافة اكثر من الرجال:..» اما رأيه في الرجال فكان راي ساخر واسع الصدر. ففي مرة تعرف على ولكوت حاكم ولاية ماسا شوسيت فقال عنه «كنت انتظر لقاءه بفارغ الصبر ولكني لم اكن على صواب فعقله يجمع آراء كثيرة غير انه لا يحمل رأياً واحدا فيه نصيب من الصحة»

اما رأيه في اساتذة هارفرد فكان لا ينطوي على تقدير لتفكيرهم وآرائهم الا قليلا ويعتبر عقليته اوسع بكثير من ان تعير اهمية للمبادىء الاولية التي يدرسها جيمس ورويس وبالمر «تسمعت لجيمس ورويس بهزء وسخرية اكثر مما تسمعت لهما برغبة صادقة» اما عن بالمر فيقول «انه لا يزال في نمو مستمر» وقد كتب عنه كثيراً في السنوات الاخيرة.

كان يكره اولئك الاشخاص «ذوي الآراء المثالية المتشائمة المتطيرة من الحياة.. والذين يحلمون بمستواها الخيالي الذي يجب ان تبلغه»

وكان عندما التحق بجامعة هارفرد مادياً Materialist او طبيعياً Naturalist راسخ العقيدة وقال «ان آرائي المادية ليست اكاديمية فحسب بل وليدة تجاربي اليومية تلقيتها كما تلقاها ابي من التجارب واستقراء الحياة..ويبدو لي ان تفكير هؤلاء الاشخاص البعيد عن الواقع لا غناء فيه وهم ليسوا بمفكرين»

ان تفكير ابيه وبالاحرى تفكير امه اللاديني اثر في عقله تأثيراً كلياً فابواه يعتبران كل الاديان «من احلام الخيال البشري» فآمن سنتيانا بهذا الاعتقاد ايماناً تاماً.

لو نظرنا الى عقليته المعقدة نظرة دقيقة فاحصة لحكمنا لاول وهلة بان عقله عقل متشكك وقلبه قلب مؤمن.وكتب «ان مشاعري تتجه جلية الى اولئك المؤمنين من افراد عائلتي لكني واثق بان الاديان عبارة عن احلام حفل بها الضمير الانساني» كما انه لا يعرف من هو الذي انفطر عن هذه الاساطير.

كان بغض النظر عن آرائه المادية اميراً ساحراً يعيش في عالم سحري. فهو شاعر يحاول التحدث بلغة العلماء وطبيعياً كانت أولى مجهوداته الاديبة قرض شعر المأساة ونظم المراثي التي يندب بها الاجيال الفانية والاحلام الضائعة. وما كانت شكاته لانه ولد مثل هوسمان «خائفاً غريباً في عالم لم يوجد بعد» بل شكواه أمر وادهى لانه ولد متأخر عن العالم الذي يضمر له حباً شديداً والذي كان يحب ان يهبط اليه في الوقت المناسب!..

ان رفيق افلاطون حكم عليه بان يعيش بين بيوريتان بوسطن او على حد تعبيره «تلك هي مأساتي الكبرى..» فهو يرغب في ان يقضي حياته في جوار هادىء مع افلاطون وديموقريطس ولوقريطس وغيرهم من ارواح الفلاسفة القدامى التي صادفت هوى في نفسه ـ غير ان القدر ساقه الى ان يكون معلماً يضيع وقته سدى في القاء المحاضرات على طلبة الكلية وكتب في السنوات الاخيرة «كنت اكره دائماً ان اكون معلماً». ومع هذا ليس باستطاعة احد ان يعيقه عن القاء سلسلة محاضراته. ويكفيه فخراً ان يكون أحد الكتاب المعاصرين قد تتلمذ عليه في هارفرد. والمشهد الذي لا ينسى ـ هو ان الشاعر الفيلسوف جالس على منصته في قاعة امرسون وقد وضع احدى يديه الشاحبتين فوق الاخرى وهو مطل على

طلبته بوجه شاحب ولحية سوداء محددة تنم ملامحه عن خيال اغريقي رائع وكأن قبساً من الازل يتألق في عينيه النفاذتين . وتشيع في حديثه الحكم السامية فتهبط على الطلبة كما يهبط الوحي. ويتكلم بتأثر وحدة غير ان نبرات صوته اعتيادية وغير سريعة كأنه الهم الخلود كله ليؤديه في رسالته . ويتوقف احياناً بضع ثوان ليعثر على الكلمة المناسبة التي يقولها والطلبة ينتظرون بشوق تلك الكلمة التي ستأخذ مكانها الدقيق في سياق الكلام الكامل من الرجل الكامل .

وكان بعض الاحيان يوجه سهام النقد النزيه الى الاوثان الزائفة التي يقدسها العقل البشري لكنه لا يهاجمها هجوماً عنيفاً بمعول هادم وانما رائده السخر من حماقات البشر لا احتقارها .

لم يتزوج سنتيانا فعاش بين قلة من اصدقائه في هارفرد الذين يخلصون له الود ومنهم هوغومونستربرغ - وهو شاعر اجنبي مشهور مثله - وبين كتبه التي يحبها . كما انه لا يزال يردد ولوعه بكرة القدم وهي الهواية الوحيدة المحببة الى نفسه والتي يعتبرها « من الذكريات في حياته الحاضرة » .

كان احد طلابه انطوائياً يميل الى العزلة في الصف الذي يدرس فيه ولا يمتزج بالآخرين وليس له ولع بالعاب الكلية الرياضية فسر كثيراً حين شاهده « بقبعته اللطيفة وعصاه الغريبة » ماشياً في احد مماشي الجامعة يوم السبت عصراً فخيل اليه انه افلاطون وخاطبه قائلا « اضفيت جمالا نادراً على جامعة هارفرد يا افلاطون ... »

اضافة الى تنقلاته الفكرية في العصر الحاضر انى يريد وحيث يشاء لا يزال ينفق معظم اوقات فراغه في صداقة ثقافية مع القديم فوقف شعره على الفلسفة - او بتعبير آخر - وقف شعره الفلسفي على الفلسفة الشعرية. لكنه بدأ اخيراً بكتابات نثرية كتبها بلغة ميتافيزيقية ومع هذا فهو شاعر حتى النهاية...

***

ان فلسفة سنتيانا خليط عجيب من الفلسفة الافلاطونية والالحاد والكاثوليكية ويؤمن قبل كل شيء بعالم المثل كما آمن رفيقه افلاطون لكن سنتيانا يسميها جوهريات . فجوهره يشبه مثال افلاطون قوام كل ما هو كائن وما كان وما سيكون واضاف اليها من عنده ما سوف لا يكون اذ ليست المثل العليا التي كتبت في القصص والاشعار والدراما جوهريات وحسب وانما هناك مثل ما كتبت وسوف لن تكتب ولو انها جوهريات ايضاً فهي «كالزهور التي خفيت على الانظار لتضيع انفاس عبيرها في مهب رياح الصحراء »

ان احاسيسنا المغمورة كالازهار التي يذوي جمالها بعيداً عن انظارنا دون ان نتمتع بعطرها وجمال منظرها. فهي ليست من التفكير الخالد في شيء وكل واحد منا يستطيع - الى حد ما - ان يشارك الآخرين في هذا التفكير.

ولنحاول ان نتسامى بالتجرد عن انفسنا كما لو كنا نغذ السير عبر الوجود في طريقنا الضيق بين الحياة والموت تكتنفنا سحب الغموض فتحجب عنا الرؤية وتستطيع ارواحنا ان تعمل فعلا على ان تسمو بنا فوق ذواتنا وهكذا نتمكن من الظفر بالخلود ولو برهة وجيزة. ونحن نتمتع بمثل هذه الفترة الخالدة حين نتسمع لقطعة موسيقية او ننظر في صورة جميلة او نقوم بصنيع حسن ففي مثل هذه الاعمال التي تدل على انكار الذات نرى «ان المثل تطل من سمائها الافلاطونية فتسخر من هذا العالم المضطرب الذي تظهر فيه خلال فترات قصار» : وعندما حل الجوهر في الارض وفعل فعله في المادة تكونت الحياة» او بتعبير آخر ان تصميم البيت يصبح بيتاً بالمعنى الصحيح حين يرصف الآجر والحجارة ويسوى بالملاط ويوضع الزجاج .

ويعترف سنتيانا بعجزه عن معرفة ماهية المادة بدقة « انا انتظر من العلماء افهامي.. ماذا ستكون ماهية المادة فانا ادعوها مادة بكل شجاعة كما ادعو احد اصدقائي سميث او جون لكن دون ان ادرك اسرارها» فسنتيانا لا يعرف سر المادة الا انه متأكد من وجودها ولربما يعزي وجودها الى «تماسك الذرات» او الى شحنة كهربية او الى « جذب اثيري » فالمادة كل شيء موجود وانما وليت وجهك تجد مادة فهي تكون السموات والارض واوراق الشجر وبراعم الزهور والاجسام البشرية نعم وحتى عقل الانسان فالعقل البشري مادة مثل الجسم يولد وينمو ويمرض ويموت ... وبتأثير الافلاطونية يصبح سنتيانا ملحداً لا يؤمن بالخلود. ويقول «اعتقد بعدم وجود شيء خالد» « لا شك في ان الروح وهي طاقة الحياة دائمة الحركة فينا كالموجة التي ترتفع في البحر بين حين وحين لتمر فنهتف باعلى اصواتنا : سوف تمر. والميزة الوحيدة فينا هي اننا شعرنا بوجودها عندما مرت » .

ان الحياة والجسم والعقل والسماء والارض والنجوم يعتبر

كل منها في فلسفة سنتيانا آلة . ويضيف الى ذلك قوله « ان العقل لا يسيطر على الجسم فهو رقيب جانبي يرقب حركة الآلة الذاتية فتصدر عنه احيانا موافقة واخرى يصدر عنه «رد فاتر» ولا يوجد شيء يسمى بروح خالدة « فالاعتقاد بخلود الارواح اعتقاد ساذج بالشعوذة » وماذا يمكن ان تسمى الروح ؟ انها عبارة عن شبكة مادية واسعة من الاعصاب والانسجة تنمو في كل جيل من حجيرة .

ان انكاره لقيمة العقل وحرية الارادة نشأ عن سبينوزيته *

فسبينوزا في رايه الفيلسوف الكامل الذي يميزه عن بقية الفلاسفة المسحيين في جميع العصور . « لا اظن ان كاتباً حديثاً يستحق في نظري لقب فيلسوف غير سبينوزا » . لكنه ينقض مذهب سبينوزا في الباتيزم فيقول « ان الطبيعة كلمة شعرية تعني كفاية كل جيل من الاجيال المتعاقبة ليؤدي رسالته في الحياة ويحمل معه القابلية الدائمة لتطوير العالم الذي يعيش فيه » . والباتيزم معناه الايمان بوجود مبدع غير ان سنتيانا لا يؤمن لانه بحث عنه كما بحث عنه لالاند بتلسكوب في السموات فلم يظفر به .

« خليق بنا ان نكف عن نقد القصص الديني وان نقدر الطهر والتقوى ونتفهم الشعر الذي تضمنته هذه القصص » . وعدا هذا فان اسلوب القصص الخيالي اجدى على الذوق الفني من المعنى الحرفي فالبحث يدعوك الى ان تأمل بالخلود نوعاً ما » « الافضل ان يستحضر شخص احدى ارواح الاموات ليتاكد من هذا الادعاء .. لكن هذه الروح سوف لا تعود الى مستقرها وستحصر في مجمع الخالدين .. » فخلود اشخاصنا لا يعني انتقالها الى العالم الآخر وانما تبقى وتكرر في هذا العالم باقوالنا وافعالنا وخاصة باطفالنا « نستطيع ان نحيل الصفحات السود في مخطوط حياتنا الى صفحات مكتوبة بحروف من نور اذا ادركنا سطور الفصل الخالد في منتصفه فتكون مسودته حينذاك اروع واجمل كتاب ...»

***

هكذا كان نظام سنتيانا الفلسفي غير ثابت الاسس فهي فلسفة

* نسبة الى الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا الذي ولد عام ١٦٣٢ وتوفي عام ١٦٧٧ وكان غاية في وحدة التفكير وقال بوحدة الكون واعتبر الارض والاجرام السماوية حبات من الرمل تسبح في زاوية من زوايا الوجود الخالد وقال : ان الانسان ذرة تافهة في جسم المجموع اللانهائي .

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرليا

او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

☆

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ - ٩٢ / المنزل : ٣٧ - ٤٨ }

Tél. { Direct. : 92 - 47 / Dcle : 48 - 37 }

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

شخص ـ كما عبر هو عن نفسه ـ «يحاول ان يحلم واحدى عينيه مفتوحة» ليهرب من هذا العالم دون ان يكون من خصومه ويستقبل مسراته العابرة وآلامه الزائلة ولا يغرب عن باله ـ ولو الى لحظة ـ كيف انها ستزول.

لم يعش في حالة كفاح مع الحياة مدى عمره لتهرب منها. فما كان رباً لعائلة ولا مواطناً في موطن ولا استاذاً في جامعة بعد تقديم استقالته الى جامعة هارفرد سنة ١٩١٢ . وهاجر قبل الحرب الكونية الاولى سنة ١٩١٤ بقليل من امريكا ليعيش في اوروبا ولم تكن هجرته انتقالا الى نصف الكرة الثاني فحسب بل هي رجوع الى عصر آخر ـ عصر يعتقد بانه طالما رجع اليه. واستقر به المطاف في مدينة روما « فهو يشعر هناك بقربه من الماضي اكثر من اي مكان آخر ». وقال «ان اثينا ابتعدت كثيراً عن ايامها الافلاطونية القديمة ». ويجد نفسه بين اطلال العصر الروماني الغابر اكثر انسجاماً مما لو كان في وطنه، واعتاد هنا نمطاً هادئاً تجري عليه حياته «في الحاضر التعس» الذي الم به كأنه طائف من الماضي المجيد. واتخذ له مسكناً لائقاً في فندق. وحين اقترح عليه احد اصدقائه شراء بيت خاص قال « الممتلكات تسترق الانسان ». كانت طباعه متواضعة وشاذة وقال « انا ابن ابي » وذلك ان شخصاً سأل أباه مرة: لماذا تسافر دائماً في قطار الدرجة الثالثة ؟. فاجابه « لاني لا اجد قطار درجة رابعة ».

وكان كثير السرور بزيارة اصدقائه القلة لافتقاده لكنه لا يتقصى اخبارهم اذا ما انقطعوا عنه . وقال « انا كالشاعر بوب لا ارد الزيارات ».

ولا يحضر المراسيم الدينية الا ما ندر وقال «الجلوس للمراسيم يجعلني متألماً من قفاي على الاقل ». لكنه كثيراً ما يقصد الى الطلال الباناثيون للتفرج على نصب الآلهة الاقدمين. ويذهب الى سان بيترو للتمتع بروائع ميشيل انجيلو . ولا يزال يعتقد بان الشعر اسلوب عملي للتبشير بالدين. واقصى امنياته مصطبة بالقرب من معبد اسكلابيوس آله الشفاء الذي يحبه سقراط ويفضله على الآلهة الاخرى. فيجلس هناك ساعات عدة ليحلم بالعودة الى ربيع العالم الذي حرم من التمتع به بسبب التبدلات الطارئة عليه لكنه يخفف من حدة المه بالنكتة اللاذعة اذ انه آلى على نفسه ان يتتبع هفواته كما يتتبع هفوات الآخرين بسخرية منزهة عن الغرض الشخصي.

وتحدث عن اول صفقة مخفقة من كتبه وهو الكتاب الذي سبق قصته « البيوريتان الاخير » وقال هازئاً « ان كتابي « الشعور بالجمال » هو اول كتبي وهو حتى الآن أحسن مبيعاتي اذ تباع منه بصورة منظمة مئة نسخة في العام .. » الا انه لاحظ ان الاخفاق له جانبه المشرق لانه لا يدوم . وتسعدنا الطبيعة فترة بتلك اللعبة التافهة التي تسمى الحياة وتسلمنا بعدها الى سبات أبدي . دعنا نفعل الخير في فترة يقظتنا ودعنا نتناسى مصائبنا العابرة ولنكن شاكرين لتلك اللعبة الصبيانية الزائلة . بعد هذا « لا اهمية ليوم ميلادك ويوم فوتك واداب على التمتع بينهما» وهكذا ينظر سنتيانا الى الاشياء باسى وألم لكنها نظرة فلسفية ساخرة وهكذا يحدق فيما يسمى الحياة او فيما يسميه هو « مشهداً هزلياً » بنظرات واجمة هازئة . فقد رأى ـ في بلاد تلو الاخرى ـ المدنيات المنهارة التي دمرها المستبد المنتصر وكأنه قدم من عصر آخر لينشر الهول والفزع . ومع هذا يقول رغبة في التمييز وبساطة فلسفية « انا شديد الاعجاب بموسوليني » .

وقبل ان نحكم على سنتيانا بصورة قطعية يجب الا يغيب عن اذهاننا انه شديد الحيطة والحذر فهو يزن كل كلمة قبل ان تصدر عنه بدقة طلاب مدرسة اللاتين . فالمعجب به كما يعرفه هو وكما يجب ان يعرفه عنه قراؤه لا يقدر بالموافقة على اعماله وانما يرمق باعجاب . فهو معجب بموسوليني كما انه معجب بيوليوس قيصر او غيره ويحس نحوهما بنفس الشعور الذي يحسه نحو قصف الرعد والعواصف الثلجية . وانه معجب بشخصياتهم القوية لكنه يمقت اعمالهم التخريبية . وهذا طبيعي لانه ينأى بجنانه عن التخريب والفظاعة والظلم والاستبداد والحرب وقال « الحرب تفني ثروات الامم وتقتل ازهارها اليانعة وتقضي على روح التعاون بينها وتتيح فرصة السيادة للمغامرين وتورث ابناء الجيل التالي الضعف والقسوة والمسخ ويتحدر هؤلاء الابناء من سلالة العبيد بدلا من ان يتحدروا من سلالة الاحرار » .

ان نظرته الى الحرب لا تختلف عن نظرته الى أي شيء آخر . وهو يعود دائماً بتفكيره الى القديم الاغريقي وقال « اذا امعنا النظر في هذا العالم تحتم علينا الرجوع الى افلاطون. ولا نحتاج الى فلسفة جديدة وانما تعوزنا الشجاعة كي نعيش في الماضي المفضل » .

العراق ـ الحلة　　　　عبد المعروف

قطرة الدم

من الادب الهنغاري لكارولي كاسفلودي
Karoly Kisfludi
١٧٨٨ - ١٨٣٠

بقلم الآنسة سميرة عزام

في فجر احد الايام ، وكان الجراح الكبير لا يزال مستلقياً ينعم بدفء فراشه حين تناهى الى مسامعه صوت مريض لجوج يصرخ بالخادم قائلا بانه لايحتمل تاجيل مقابلة الطبيب دقيقة واحدة .. وازاء هذا الالحاح لم يجد الطبيب بدا من مغادرة فراشه وارتداء ملابسه على عجل والخروج لمقابلته .

كان الزائر رجلا في الخامسة والثلاثين من العمر ، متناسق القسمات .. انيق اللباس تشير الظواهر الى انتمائه للطبقة الارستقراطية الهنغارية .

كان وجهه شاحباً وعضلاته متقلصة مما يدل على الم يعانيه، وكانت يده اليمنى مشدودة برباط ابيض ومع ان الرجل كان يحاول جهده ان يحتفظ برباطة جأشه الاان التنهدات العميقة التي كانت تبدر منه بين الفينة والفينة كشفت عن مبلغ الم واقبل الطبيب عليه قائلا :

ـ تفضل سيدي بالجلوس. اية خدمة استطيع ان اؤديها لك ..

ـ يدي يدي يا سيدي الطبيب .. ان بها شيئاً لاادرك ماهيته اهو سرطان ام مجرد تورم .. ام بها شيء خطير .. انها لم تكن تضايقني بهذا المقدار قبلا..ولكنها الآن تؤلمني المآ فظيعاً .. انها تحترق .. تحترق..انقذني بربك..وارحم عذابي..

وامسك الطبيب بيد المريض يفك ضمادها ثم راح يتأملها بامعان وتفحص قبل ان يقول :

ـ انني لا ارى في يدك شيئاً غير عادي سوى هذه النقطة المستديرة بين الوريدين الكبيرين ولعل احمرارها يعود لشدة حكها .. هل تشعر بالم هنا تحت ضغط اصبعي ؟ واسرع المريض يسحب يده وقد انحدرت من عينيه دمعتان كبيرتان .

وفتح الطبيب عينيه دهشاً وقال :

ـ عجباً لست ارى في يدك شيأً ما..انها تبدو صحيحة كيدي تماماً.. ـ بل انها تؤلمني.. الا تلاحظ يا سيدي ان موضع الالم يبدو اشد احمراراً مما حوله ؟

وهز الطبيب رأسه وبدأ يشك بسلامة عقل الرجل الذي شعر بما يعتمل في نفس الطبيب فقال ..لا تظنني مجنوناً .. انني بكامل قواي العقلية .. ان هذا الالم الخفي يكاد يقتلني .. ارجو سيدي ان تستأصل هذا الجزء الصغير من يدي بمبضعك

ـ لا لن امس يدك .. فانصرف حالا ..

ـ لماذا ؟ ارجو ..

ـ لا حاجة بك لان ترجوني فيدك صحيحة تماماً !

ـ ولكنني الح .. وهذه ارادتي ..

ـ كلا . انصرف .. فلن اخالف اليمين القانونية لأستاصل الماً وهمياً .

ـ حسنا ..ما دمت ترفض رجائي فسأتحمل بنفسي المسؤولية واقوم بالعملية ومد يده الى جيبه فاخرج موسى صغيرة وراح يحفر يده بكل شجاعة دون ان يعبأ بصياح الطبيب الذي تقدم منه محاولا انتزاع الموسى من يده وهو يقول :

ـ دع الامر لي .. ما دمت تعتقد بانك لن ترتاح الا بهذه الطريقة.

واستسلم الرجل للطبيب الذي اعمل مبضعه في يد الرجل وعين الاخير عليه يرقب العملية دون ان تبدر منه صيحة الم واحدة او يختلج له جفن حتى انتهى الطبيب فتنهد الرجل تنهدة ارتياح وقال ..

ـ لقد زال الالم .. وبدأت اشعر بالارتياح .. فشكرا .. والف شكر . ولما انتهى الطبيب من تضميد الجرح شكر المريض ثانية ومد يده اليسرى يشد بها على يده ثم غادر الغرفة بنشاط ملحوظ .. وكأنه شخص جديد غير الذي كان .

ودفع الفضول بالطبيب الى التردد على الفندق الذي ينزل فيه مريضه بقصد تغيير الرباط فاتيح له ان يعرف فيه رجلا بين المكانة .. على قسط من الثقافة والادب ..

والتام الجرح ، وانقطعت عيادة الطبيب وانقطع ما بينهما من اسباب الزيارة دون ان ينجح في التوصل الى السر الذي حفز الرجل الى القيام بهذه العملية دون داع يوجب ذلك .. كما




* اذيعت من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

وان الطبيب لم ير في سلوك الرجل ما يوجب الحكم عليه بالشذوذ . الى ان طرق بابه ذات يوم فاذا بالنبيل يقف على بابه وقد تجهمت ملامح وجهه وراح يصيح :

سيدي لقد عاودني الالم .. عاودني بصورة افظع .. ولعلك لم تستأصل شأفته الاستئصال الكافي ..

وتناول الطبيب اليد المبسوطة فما رابه منها شيء . ولكنه ازاء الالحاح المتواصل وازاء رغبته في السير الى نهاية الشوط مع هذا المريض الغريب الاطوار لم يجد بداً من اعادة نفس العملية الاولى .. وما ان انتهى من ذلك حتى زاح يربت على كتف الشاب قائلا .. عسى ان تكون الاخيرة يا صديقي ..

وابتسم الرجل ابتسامة حزينة وقال : عفواً .. ولا تدهش فيما لو عدت اليك بعد ايام ..

وانقضى على ذلك شهر وشهور .. ولم يلمح الطبيب شبح الرجل كما انقطعت عنه اخباره الى ان وافاه البريد ذات يوم بكتاب ما ان فضه حتى ادهشه ان يرى توقيع مريضه في ذيل الكتاب.

وكان الكتاب كتاباً اثار دهشة الطبيب ورثاءه في آن واحد.

سيدي .

ليس في نيتي ان انطلق في سفرتي الابدية قبل ان اكشف لك ذلك السر الكامن تحت البقعة الحمراء العنيدة في يدي .

لقد عاودني الالم ثلاث مرات بعد مغادرتي اياك في المرة الثانية .. هذا الالم الذي لا يجدي معه طبك او مهارتك ، او مبضعك الرشيق لا لشيء الا لانه نتيجة مرض وهمي فظيع .

ودعني اعود قليلا الى الوراء واطوي معك قطعة من الزمان واقف بك عندي يوم ان كنت اسعد الرجال طرا ..

لا ينقصني الجاه ولا يعوزني المركز ، ولا افتقر الى الشباب او الى الزوجة الفاتنة التي ضاعف زواجي بها سعادتي واعتزازي .

وعشت مع زوجي فترة على سعادة عامرة ، وهناء مقيم ، وكانت هي لا تكاد تعرف من الناس غيري ونفر من الاصدقاء قليل .

منهم سيدة نبيلة تحمل لقب كونتس ، كانت تسكن قصراً يجاور قصرنا .. فكانت زوجتي تتردد عليها في زيارات خاطفة تعود الي بعدها حاملة حبها وشوقها العظيمين .

وهكذا عشنا غير حاسبين حساب معاول الشقاء التي يخفيها القدر بين اثوابه الى ان عرفت بذرة الشك طريقها الى قلبي وعرفت يدي كيف تقبض على احد المعاول فتحطم به صرح هناءتي .. والشك والغيرة ـ كما قيل ـ صخور يتحطم امام صلابتها ذكاء الانسان وحلمه .

كان لزوجي دولاب صغير يحتوي على ادراج عدة كلها مفتوحة عدا واحد حرصت كل الحرص على ابقائه مغلقاً .. وقد تصادف ان فاجأتها ذات مساء وقد فتحت الدرج فما ان ابصرتني اطل من طرف القاعة حتى سارعت باغلاقه والابتعاد عن المكان ومشاغلتي بالحديث :

ورحت افكر فيما يمكن ان يحويه هذا الدرج .. وازعجني جداً ان تخفي زوجتي عني امراً ما مهما يكن حظه من التفاهة .. فما عسى ان يكون الشيء الذي تحرص زوجتي على اخفائه ؟

يجب ان اعرف .. ولا بد من ذلك .. مهما كلف الامر .. وبدأت اتحين الفرص .

الى ان حل يوم اقبلت في صباحه الكونتس على زوجتي تدعوها لقضاء يوم في قصرها .. فشجعتها على الذهاب ، ووعدت باللحاق بها في امسية اليوم .

وخلا لي الجو .. وخلوت الى درج زوجتي ، فاعملت في ثقبه عدة مفاتيح بقصد التجربة وما لبث ان سمعت (طقة) اشعرتني بان الدرج قد بات مفتوحاً .

فماذا تحسب اني وجدت يا سيدي ؟

لقد وجدت لفافة رسائل شد عليها شريط ازرق .. وقد فاحت منها رائحة العطر .! واخذني الاضطراب ورحت افك الشريط بعصبية غير مبال بقواعد الذوق التي تقتضي منا غض النظر عن رسائل اقرب المقربين الينا ..

الشك لا يعترف بشيء اسمه ذوق او اصول .. فلنذهب جميعاً

الى الشيطان.. وفضضت الرسائل ورحت اقرأها واحدة فواحدة..

ويا للهول الذي تصدى لي من بين السطور ويا لفرط سخرية الكلمات .. التوقيع لصديق قديم عزيز .. والرسائل الى امرأة .. وفيها تحريض على الخيانة .. واغراء خادع .. وهزء مرير من الازواج المغفلين .. ثم توصيات وارشادات حول حصر قصة الغرام فلا تتسرب الى مسامع الزوج الكريم !!

وجن جنوني .. وثارت ثائرتي ولم اعد اعرف كيف اعيد الرزمة الى وضعها الاول .. ورحت اسير في القاعة كالاسد الجريح الى ان نجحت في استرداد بعض هدوئي ولحقت بزوجي وانا اقنع نفسي بأخذ الامر ومعالجته بحكمة وروية.. فاستقبلتني هاشة باشة .. مما حرك في نفسي الغيظ والزراية

عجيب امر النساء .. ويا لزوجتي من ممثلة قديرة !

وعدنا من قصر الكونتس معاً .. وانا اكاد اختنق ألماً فدخلت تواً مخدعي الخاص محتجاً بصداع مفاجيء وحاولت ان اغلق عيني استجلا بالنوم يريحني من هذا الكابوس .. ولكن الكرى جفاني وتركني اتقلب على فراش القتاد وفاض بي الغيظ ولم اعد استطع احتمالا الى الصباح .. فانتعلت خفي ودخلت غرفة زوجي .فرأيتها تسبح في غفوة لذيذة ..

نائمة كملاك بريء دون ان يثقل الاثم ضميرها . او ينالها بالتبكيت والندم . وجلست على حافة الفراش .. ثم نهضت كالملدوغ .. ثم عدت فجلست .. وومض في فكري خاطر .. اثيم شرير ..

. ساقتلها فالموت اجدر بمن اسلمتها قلبي فداسته بقدميها ولوثت حرمته بائمها .. وهالني بشاعة الخاطر فرحت اطرده عن فكري ..

ولكن لم يلبث ان هاجني قويا .. ملحاً .. محرضاً .. زاويا حتى شل علي تفكيري وسلبني عاقلتي فمددت الى عنقها الابيض الجميل يدي المرتجفتين ورحت اضغط ففتحت المسكينة عينين تطل منها الدهشة .. ثم عادت واغلقتها.. ونامت نومها الابدي دون ان تصرخ .. او تحاول دفاعاً عن نفسها .. او تقل شيئاً...

وسارعت بمغادرة فراشها عائداً الى غرفتي وانا افكر في اسرع الاجراءات الكفيلة بتغطية الجرم.. واذ ببصري يتسمر على نقطة حمراء تتوسط كفي ..

اواه .. انها قطرة دم .. هي الاثر الوحيد الناطق بادانتي.. وغسلت يدي وسارعت بدفن الجثة مستعيناً بكاهن الناحية وخدمي المخلصين والالم يعتصرني عصراً ..

ثم رحت اذيع النبأ بين الاقارب والاهل مدعيا بان الوفاة جاءت نتيجة سكتة قلبية .. وكان من الطبيعي الا يتطرق الى الشك وجميعهم على علم بفرط ولهي وتعلقي وجنوني بزوجي .

وانقضى يومان قبل ان تأتي الي الكونتس متشحة بالسواد تسوق تعزيتها ببعض العبارات الجوفاء وتقول ..

سيدي كان لي في ذمة الفقيدة رزمة رسائل طلبت اليها ان تحتفظ لي بها فارجو التكرم باعطائي اياها اذا لم يكن في الامر ما يثقل عليك !!

وسألتها عن مضمون الرسائل فاستنكرت سؤالي وقالت لقد احتفظت بها زوجك ستة شهور كاملة دون ان تحاول استجوابي هكذا .. فاسمح لي بها ..انها مشدودة بشريط ازرق ، وكانت الفقيدة قد انبأتني انها تحتفظ بها في احد ادراج الدولاب الصغير.

وشعرت بالارض تميد تحت قدمي ولكنني تجلدت وطلبت الى الكونتس ان تصحبني الى حيث انتصب دولاب زوجي ففتحت الدرج وناولتها الرزمة فانتزعتها واخفتها في حقيبتها .. اما انا فقد ادرت وجهي جانباً .. فلا تقرأ الكونتس ذلك السر الهائل الذي تنطق به عيناي ..

بريئة ..مظلومة فيا لي من مجرم زنيم ..

ومن يومها شعرت بالالم يأكل يدي اكلا .. وفي الموضع الذي استقرت فيه قطرة الدم ! ولا حاجة بي للاسترسال وانت على علم ببقية التفاصيل ..

اني اعرف ان منشأ هذا الالم هو الوهم .. ولكن وهم قاتل عرف كيف يحطم اعصابي وكيف ينتقم لتلك البريئة التى اخذت بجريرة غيرها فراحت ضحية شكي وتسرعي وحماقتي ..

اني الآن في طريقي الى الآخرة .. وسيخلصني الانتحار من الندم الذي احال حياتي جحيما ... وهناك في الدار الباقية سالتقي بزوجي ثانية واعفر رأسي عند قدميها .. واسألها الصفح والمغفرة .. واني لعلى وثوق من انها ستبتسم في وجهي ابتسامتها الملائكية ، وتقابل دناءتي بالغفران .. وستظل على حبها القديم العظيم لي ..

اشكرك يا سيدي لما قمت به في سبيل التخفيف عني.. وعسى الا تبخل علي الآن بصلواتك فيشملني الله بعظيم رحمته ويمحو ما خلفته يداي من خطوط سوداء ..

سميرة عزام

كبرياء

مهداة الى جبرا

ستعصر على انها جبن وسأصر على انها كبرياء

❖

انت التي لا تدركين
ماذا اريد
ولعل لو ادركت قلت لآخرين
وبضحكة شمطاء مثل الآخرين
ماذا يريد .. !
ماذا يريد .. !
ومحوت هاتيك السنين
وتصلب الوجه الحزين
ولعدت ازحف من جديد
في مدفني الرطب الوحيد
في خافق كملاجي المتشردين
كغد اللصوص الخائفين
ماذا يريد
لصرخت بالظل الذي يهتز في خجل مهين
لصرخت بالوجه الحزين
وبكل ما حملت هاتيك السنين
ماذا تريد .. !
ماذا تريد .. !
ولعدت اضحك مثلهم ... كالآخرين
حسناء ،
يا انت التي لا تدركين
ماذا اريد
أ تسألين ...
عما اريد
انا لا اريد
انا لست مثل الآخرين

بغداد بلند الحيدري

اللحظة الملهمة

الى فؤاد الخشن

❖

سكن الليل ، غير ليل على جفني، جم الخطى ، مديد الرواق
امر كلما تعلق اهدابي ، اراني ضممت ساقا لساق
وتسللت تحت وسدتي انساب، فاذ بي كأنني في وثاق
اذ بصدري فيه ارتجاف العصافير ، ونفسي كزورق منساق
انني ما علمت روحي، ومهواها ، ولا اين، خلف اي انعتاق
غير اني وعيت شدا على قلبي ، وخفقا يحز في اعماقي
كلما اتثني لاطرد اشباحي عني ، اهيم في استغراق !
وصبايا الخيال تمخر في جفني ، عجالى ، كأنها في سباق
وانا كالشريد اسري على اذرع دنيا منشورة الآفاق
اذرع كالنسيم في رقة المس ، وكالكهرباء في الاشراق
وقفت بي حيال دفق من الحلم، وعرش من فوق سبع طباق
فرأيت الطيوف حامت على عيني ، ورف السنا على احداقي
وتمثلتني انـد الى الشهب ، وارنو بالجانح الخفاق
وبجني لاعج كلما حن استثارت مدامع العشاق
هتف الليل بي فهمت ، وناداني ، ففاضت على في اشواقي
اين ، ثم التفت فاختلج الليل ، واضفى بملهمات رقاق
هن مني قصائدي ، فلذ الروح،وسكر الهوى ، ودفء العناق
زفن كالحور غمست بالطراوات ، وذابت كالجدول الرقراق
وتبرجن فالحروف الطارات سناء ، والشعر دنيا انطلاق
وشبابي صبابة الوجد فيهن ، وقلبي لون من الاحراق !
اي دنى الملهمين ! اي دنى انت ، تبلجت من سنى وانعتاق
غشيتك الرؤى فذبت ، وهزتك فكنت ارتعاشة الاوراق
في دمي المستفيض منك حرارات،وفي مهجتي رجع انسحاق
كلما عدتني تناهت بي الروح ، وهمت .. بالملهم الخلاق !

احمد ابو سعد

سبيل النقد الفني

بقلم ماجد فرهاد سعيد

يعالج النقد عندنا ازمة حادة مستحكمة ترجع في الغالب الى ان الكثيرين ممن يمارسونه حديثو العناية به او يجهلون اصوله وخواصه . فلقد اصبح النقد عند فئة من الناس سواء كان في مضمار الادب او الفن او السياسة ضربا من اللهو والعبث ، الغاية الاولى عند محترفيه اظهار عيوب الآخرين والغض من شأنهم ، لا لشيء الا لانهم دخلوا ساحة النقد دون الاستعداد له والعلم به على اصوله ، ولهذا جاء تقدهم اعجف ناحلا هزيلا عليه مسحة من صفرة الموت وشحوبه . وهناك جماعة من النقاد قد تكبوا ايضاً عن سبيل النقد الصحيح لان حظهم من الثقافة يسير ولان الله لم يؤتهم موهبه في الذوق او سعة في الاطلاع او سداداً في المنطق اوصدقاً في الشعور .وهذا من اهم مقومات النقد ـ فجاءت احكامهم منحرفة ضالة زائغة عن الرشاد.ولقد قرأت قبل مدة قصيرة مقالا قيما بالانجليزية للكاتب الاديب نايجل بولشن Nigel Balchin ، يعرض فيه بعض الآراء الطريفة والمفيدة التي تربط بين النقد والاثر المنقود عرضاً وافياً متزنا حاذقا على درسه والتعليق عليه لعل ذلك يجلو بعض ما التبس علينا من اصول النقد واحكامه وطرائقه .

يشير الكاتب في مستهل موضوعه الى ان النقد « هو الحكم على محاسن اي انتاج من الفنون الجميلة او مساوئه » وسواء كان الحكم صالحاً ام غير صالح ، فلا معدى لنا عن الادلاء به، لان النقد كما يقول توماس اليوت Thomas Eliot ضروري كالتنفس لا غنى للانسان عنه . ولئن كان النقد حكما يصدر، الا انه ليس من المحتم ان يكون حكما جائرا لاذعاً ، اقول هذا لان بنا نزوعاً شديداً في هذه الايام الى اطلاق الكلمة كما لو كانت تعني البحث عن الاخطاء فحسب .

وفكرة النقد تتطلب الاستناد الى قواعد ثابتة ، نستطيع في ضوئها ان نتعرف بالشعر الجيد او اللوحة الفنية الحسنة او الموسيقى الرائعة . ولصعوبة الاتفاق على هذه القواعد ، مقاييس الجودة والرداءة ، تنشأ صعوبة النقد . فهناك طائفة من الناس ترى استحالة اتيان الناقد بحكم صحيح الا اذا استند الى قواعد موضوعة متوارثة مع الزمن . بينما تذهب طائفة ثانية الى ان متطلبات النبوغ تفرض على النقاد عدم اخضاع الفن لقوانين معينة.

وتتصارع حول هذا الموضوع ذهنيتان ، تنص اولاهما على ان الفن وسيلة لنقل شيء ما ، ففي استطاعة الانسان ان يصور او يكتب ليرضي نزعاته الشخصية اذا شاء فحسب . ولكنه متى عرض انتاجه على الناس فانه بذلك يحاول ان ينقل اليهم خواطره او شعوره او افكاره ، ولذا كان من حقهم ان يبينوا رايهم في انتاجه ، من حيث قبولهم له او رفضهم اياه . ولكن لنبين بصراحة وجلاء ان قيمة الانتاج الفني ليست حتما في تناسب طردي مع عدد الاشخاص الذين يستهويهم ذلك الانتاج. فماهو المحك اذن ؟ انه الناقد الحق الذي يستحق حكمه الاخذ به ، وهنا نعود ثانية الى فكرة الاصول النقدية الثابتة .

اما الذهنية الثانية فتصر على ان النقد الجيد امر مستحيل ، لانه ليس للفن قواعد . وقد يسهل اعتناق هذه الفكرة والاخذ بها لو كان الفنان يعيش وانتاجه كنوع من الظواهر الطبيعية في فراغ تام، ولكنها في الحقيقة ليسا كذلك،لان الفنان عاجز عن الافلات من قيود الزمن والتنصل في انتاجه من خبرة الاجيال التي سبقته.

واما الناقد الجيد فهو الذي يملك حاسة للنقد مرهفة يستشعر بوساطتها انحدار التقليد الفني منذ نشأته.فبينما نجد الرسام مثلا يركز جميع قواه على اللوحة التي امامه،وعليها وحدها،نرى الناقد عندما يصوب عليها اشعة نقده لا ينظر الى هذه اللوحة مجردة عن كل ما سواها ، بل يعتبرها جزءاً من الظواهر الطبيعية الفنية جميعاً ، مستندا في حكمه الى مجموعة احكام الماضي وتقاليده. فعلينا اذاً ان نسلم بضرورة وجود الناقد البارع وفوائده كشخص ينقل الى الفنان تقاليد الماضي واحكامه، ويرشده الى الاخطاء التي تردى فيها سابقا كي يحول دون وقوعه فيها مرة ثانية .

ومن هنا تنشأ علاقة بنائية مفيدة بين الناقد والفنان . غير ان هذه العلاقة نفسها قد تكون هدامة في كثير من الاحيان ، وذلك عندما ينظر الناقد الى الفنان نظرة تهكم وتسفيه وازدراء. وسبب هذه النظرة السقيمة يرجع غالباً الى الملابسات الواقعية التي تكتب فيها احكام الصحف الرائجة التي تجعل من المستحيل الاتيان بنقد جيد لاعتمادها السرعة في جميع اعمالها. ولهذا يشعر الناقد انه لا يقوم بعمله على الوجه الصحيح ، فيكرهه ويرذله ، ويتبين الفنان ان الحكم الذي صدر حول انتاجه كان سخيفاً

الحبيبة المريضة

للشاعر الايطالي جبريل دانزيو



قصة «فتى الشهوات» وبطلها، كما نعلم من سياقها، هو «دانتزيو» نفسه، تطالعنا حياة فنان اتخذ «الفن للفن» ديدنه ومبدأ لحياته، وفي هذا الفصل الذي كتبه الشاعر، وسمى نفسه فيه باسم «اندره» نجد احد المواقف التي مر بها ذلك الفنان العظيم.

***

... توقفت العربة، ومد منها رجل رأسه، وهتف: «اندره!»

وكان المنادي الدوق ده «غريميتي» احد اقاربه... وسأله ببسمة معنوية:

ـ أانت ذاهب الى الدوقة؟

فأجاب اندره: نعم، اريد ان اعلم شيئاً من اخبارها. انت تعلم انها مريضة.

ـ اجل. انا اعلم، وانا قادم من هناك. وانها احسن حالا الآن.

ـ وهل تستقبل احداً اليوم؟

ـ انها لم تستقبلني، ولكنها قد تستقبلك انت. وراح «ده غريميتي» يضحك بخبث، من خلال دخان غليونه الكثيف. فقال اندره متجاهلا:

ـ انا لا اكاد افهم ما تعنيه.

ـ اذن فكن حذراً. فالشائعات تروج وفيها انك رجل محظوظ. وامس في المساء وجد في قصر «بالافيسيني» من يؤكد لي ذلك. وأنا بدوري أؤكد لك انه احد المقربين من اصدقائك.

وأبدى اندره حركة تجلى فيها صبره النافد، واستدار لينصرف. ـ فهتف «ده غريميتي»: ـ «حظ سعيد، ياعزيزي»

***

وصل اندره الى قصر حبيبته وهو يحس بالشجاعة تملأ جوانب نفسه. فقد ارضى غروره، في اعماقه، الشائعات التي تنشر عنه. وها هو اكثر شجاعة واوفر حظاً في النجاح. وها هو يحس بنفسه أخف انطلاقاً وأعمق سروراً وادنى الى المرح والانطلاق.

فان كلمات ده غريميتي بعثت في نفسه روح المغامرة وبثت فيها الشجاعة والضراوة وراح يصعد سلالم الحبيبة وأمله يتزايد، فقد ينال من حبيبته المريضة قبلة، او وعداً بقبلة. وهذا حسبه من الحياة!!!

وما ان وصل الى الباب، حتى انتظر قليلا، قبل ان يقرعه، وذلك ليهدأ من روعه المضطرب.

ودق الجرس.

وعرفه الخادم وقال له بادب: «اذا

سقيما هزيلا، فيتنكر له ويزري عليه. ولكن ليس من العدل في شيء ان تنسب هذه النقائص الى الناقد او الى الفنان، لانها عيوب نظام تجاري سارت عليه الصحف في ميدان النقد.

وفي مثل هذه الحالات نجد الناقد قد حاد عن اصدار حكمه على الانتاج الفني وعمد الى مداعبة الفنان حول انتاجه متهكما مرة ولاذعا اخرى. وقد يغفل الفنان هذا النقد حانقاً مغضباً لانه نقد مبتذل، ومن الخير له لو لم يعره اقل اهتمام، ولكن الحقيقة التي لا يمكن انكارها ان الفنان مهما بلغت درجة غروره او ثقته بنفسه وعبقريته، يظل في اغلب الاحيان يصارع شكا مخيفاً يساوره حول انتاجه، ويحمله على الاعتقاد في قرارة نفسه بضآلة شأنه وتفاهته، ولهذا كان احوج مايكون الى نقد رقيق يدخل الى نفسه قليلا من التشجيع والعزاء.

ولسنا نعدم وجود نفر من الفنانين الذين يتحلون بقدر وفر من روح الدعابة، ويتظاهرون بانهم لا يقيمون وزنا للنقد الجارح اللاذع، ولكنهم في الحقيقة يكرهونه ويحتقرونه لانه يؤذي شعورهم ويحز قلوبهم حزاً اذ يحملهم على الاعتقاد بأن ما قيل فيهم، حتى ولو كان سطحياً تافهاً، يمكن ان يكون على جانب من الصحة. فهم بحكم الواقع لا يستطيعون ان يروا انتاجهم عن كثب ولا يمكنهم الاعتماد في ذلك الا على الآخرين الذين ينظرون اليه نظرة موضوعية مجردة عن كل هوى.

وأما أشنع النقد فهو النقد السلبي الهدام الذي يترك الفنان يعاني شعوراً اليما يظن معه انه يحارب عالما بأجمعه، عالماً ليس يكره انتاجه فحسب، بل ويكره الطموح الذي دفع الى وضعه. ولكن الاعتقاد الصحيح الذي لا جدال فيه مع اي عقل مبدع، مهما استبدت به السذاجة ان شيئاً ما خير من لا شيء، وان الجهود الخلاقة مهما كانت متواضعة خير من العدم، لان الرغبة في الابداع فضيلة في حد ذاتها، والرغبة في الهدم رذيلة شنيعة بل جريمة لا تغتفر.

رام الله ـ الاردن **ماجد فرحان سعيد**

سمح سيدي الكونت، وتلطف بالانتظار لحظة. أعلنت خبر وصوله للآنسة ».

وراح الشاعر يتمشى في الرواق جيئة وذهاباً. وخيل اليه ان دمه يضج في عروقه ويغني مبحوحاً. وكانت المشاعل الشاحبة تنير الجدران بضوئها الخافت المصفر، وتلقي اشعتها على التماثيل الرخامية الأثرية، والصناديق المنحوتة في الجدران وأصص الازهار الذاوية ...

وكذلك فقد كانت الانوار الشاحبة تغمر، باشعتها المتراقصة، اسلحة الدوقية الأثرية النبيلة. وعلى طاولة تتوسط الغرفة كان ثمة وعاء من الشبه، ملىء ببطاقات الزيارة. وحين القى اندره نظرة في هذا الوعاء، رأى بطاقة ده غريميتي، فتذكر كلمته اليه « حظ سعيد ...»

وراح يرددها في خلده، حتى ظهرت الآنسة الخادمة ... وقالت :

«ان سيدتي الدوقة تحس بتحسن في صحتها ... ويستطيع سيدي الكونت ان يدخل لحظة ليزورها ... فاتبعوني اذا صحتم » ...

وكانت هذه الآنسة، امرأة ذاوية الشباب، تميل الى رقة القوام، وترتدي الثياب السوداء، ذات عينين تلتمعان التماعاً غريباً بين ضفائر من الشعر الاشقر المختلط بلون الرماد، اما خطواتها فخفيفة مسرعة، تسير فكانها تهرب من مطارد، وعليها تظهر ملامح هؤلاء الذين اعتادوا الحياة مع المرضى، فهم خفاف كالارواح المحلقة ...

ـ اتبعني يا سيدي الكونت ...

كانت تتقدم الزائر وسط تلك الغرف المتجاورة التي تنيرها بصعوبة انوار شاحبة وهما يمشيان على بسط وثيرة تلاشي وقع اقدامها ملاشاة تامة. وكان الشاب يحس رغم انشودة روحه العرمة، بشيء من الامتعاض حيال هذه المرأة التي تتقدمه، دون أن يعلم السبب...

وما أن وصلت الى باب تخفيه سجادتان حولها اطار من المخمل الاحمر القاني، من عصر المديتشي، حتى توقفت وقالت :

« انني أعتذر من سيدي الكونت واستأذنه في ان أتقدم لاعلن نبأ وصوله لسيدتي الدوقة، وأرجوه ان ينتظرني هنا »

وارتفع صوت ملائكي...هو صوت هيلين، حبيبته هيلين، هاتفاً :

« كريستين ! » . وحيال هذا الصوت المفاجيء احس الشاعر بارتجاف في عروقه ... بارتجاف عنيف وفكر في نفسه قائلا : «انني ساقع مغمياً علي !!!»

فكأنه احس في تلك اللحظة العظيمة، بمتعة خارقة للطبيعة، تتعدى حدود آماله وما ينتظر من حبيبته، وتفوق كل تصوراته واحلامه، متعة تكون فوق مستوى قواه وطاقته.

« انها ... الحبيبة المشتهاة ...وراء هذا الباب ! »

عند هذه الفكرة فر من ذهنه كل ما يعي من الحقيقة، كل ما يصله بدنيا الناس المادية هذه ... وخيل اليه انه تصور مغامرة كهذه، في قصيدة من قصائده الماضية، وفي عهد من عهوده المنسية، او لوحة من تلك اللوحات التي اصبحت الآن هشيما تذروه الرياح..

انه تصور مغامرة كهذه ... لها نفس الظروف ونفس الاطار ...ونفس العمق. ونفس الاسرار ... اما بطلها فشخص غيره ... شخص خيالي ليس بينهما غير الصلة التي تكون عادة بين الموجد والموجود ... الآن ... وبحركة خيالية عظيمة، اختلطت تلك الصورة المثالية الرائعة بالحقيقة الواقعة، وسبب اختلاطهما للشاعر شعوراً بالضياع والذهول ...فكل سجادة على الجدران ... وكل شمعة في الشمعدانات، وكل تمثال على الطاولة ... يحمل معنى رمزيا غريباً ... وكأن اله السكون واله النوم وقفا على الباب يحرسانه من الغرباء والمتطفلين ... وفي الداخل حدائق العطر والسحر تموج بالاسرار..

وها هو نفسه .. هو الشاعر المغامر اندره ... الفنان اندره ... يقف وراء هذا الباب ...

ووراء العتبة المسحورة ...في السرير ... تتنفس المحبوبة الالهية ... وهذه الانفاس العطرية اللاهية ... يحسها في نبض عروقه، واصطخاب دمائه!!!

وأخيراً... عادت الآنسة الخادمة ...

وقالت له، بصوت خافت، وبسمة رآها ملائكية، وهي ترفع السجادة « تفضل وادخل ... يا سيدي الكونت ».

واختفت في الرواق مسرعة . ودخل اندره .

***

في البدء خيل اليه ان الجو خانق حار، واحس برائحة المخدر تأخذ عليه مجرى أنفاسه . ومن خلال الظلام، في اقصى الغرفة، ميز شيئاً احمر، وهو حواشي سرير الحبيبة ...

وسمع... من هناك ... صوت هيلين الخافت وهي تقول :

« أشكرك على قدومك يا أندره... انني اشعر بتحسن ... »

تقدم من السرير بشيء من التردد، لانه لم يكن في ذلك النور الباهت، ليميز

شيئاً واضحاً ...

كانت هيلين تبتسم، ورأسها غارق بين وسائدها، كانت الحبيبة تئن — من اللذة او من المرض ؟! — في الظلال يتخلله النور ...

وكانت عصابة من الصوف الابيض الناصع تغطي جبهتها الجميلة المعبودة، وتلقي على خدودها ظلالا، ثم تمر تحت ذقنها، بعنقها، فيصبح لهيلين وجه كوجوه الراهبات، وكان لون الوجه يساوي بالبياض والنصاعة ذلك الصوف النقي ...

ونقلت الحبيبة نظراتها من سقف الغرفة وركزتها على وجه الشاب ... وكانت اهدافها ترف كجناحي طائر معذب ... كان في نظراتها شيء من الضراعة والصلاة ... لا يتيسر الا للمرضى من الجميلات ...

***

عندما رآها الشاب عن قرب، غمر قلبه فيض عميم من التأثر والعطف كما يغشى المساء روابي القرى الحالمة، وسحبت هيلين يداً من تحت الغطاء ومدتها الى الشاعر، ببطء زائد. فانحنى، بل ركع على حافة السرير، وراح يغرقها بقبل سريعة مداعبة حرى، فتزداد حرارتها، وبحث بشفتيه عن موضع النبض من كفها وغمره بفيض من قبلاته اللاهبة، رسالة القلب الى القلب، والدماء الى الدماء ..

« هيلين، هيلين، يا حبيبتي » ! أغمضت هيلين عينيها، وكأنها تريد ان تتذوق، بينها وبين نفسها وفي السر العميق، موجة اللذة الشهوى التي سرت في ذراعها، وغمرت أعلى صدرها، ونفذت الى عروقها السرية الدقيقة .

وقلبت يدها تحت ثغره العربيد، اللهفان، لتشعر بالقبلات على باطن كفها كما شعرت بها على ظاهرها، وكذلك فقد راحت تفتح أصابعها ليقبل ما بينها، فاذا انتهى تركت له معصمها ليغطيه بقبلاته المجنونة الرتيبة .

وفجأة تمتمت وهي تفتح عينيها :

« كفى ! » ومدت يدها التي لم ينجح المرض في اخفاء جمالها وسحرها ... وأخذت تمس شعر أندره .. وتمر بها على رأسه ... تمسحه مسحاً رقيقاً ... وكان في هذه الحركة العابرة، العابرة جداً، شيء من الاستسلام كان بالنسبة لروح العاشق كورقة الورد فوق الكأس الملآن ... وهكذا فاض حب الشاعر ... وطفح .

وأخذت شفاهه تتمتم بكلمات لم ينجح في ايضاحها . كلمات لا يعرف ان يقولها ... لانها لم تخطر على باله في يوم من الأيام بل انه لم يتصور ان في وسعه ان يقولها لمخلوقة كهيلين .

وكان يحس بحياة الميتة تتدفق في اعماقه وتتمدد خارج حدود اعضائه ... وهمست هيلين، بصوتها الناعم وهي تعيد حركتها — « شي لطيف ... أليس كذلك » ؟؟؟

واجتازت جسدها رعشة رآها الشاعر من خلال الاغطية ...

لحاول ان يمسك بيدها من جديد... فقالت بضراعة : لا ! هكذا ! ابق هكذا ! انك تروق لي ! »

وشدت على صدغه، وأرغمته على وضع رأسه على حافة السرير، بحيث شعر مقابل خده بفخذها الدافيء . ثم تطلعت اليه وغرقت ناظريها في ناظريه دون ان تنقطع عن مداعبة شعره .. وبصوت يموت من اللذة، قالت له وهي تجر صوتها على الكلمات جراً، في حين مر في عينيها شبه بريق أبيض خاطف :

« كم تروق لي ! »

وكان في شفتيها إغراء من الصعب التعبير عنه، إغراء شهواني حين تفتر شفتاها عن بسمتها الملائكية وخاصة عندما لفظت كلمة « لي » بلهجة تحسنها المرأة الجميلة عند الاغراء ..

وهتف الشاعر، وهو يفقد شيئاً فشيئاً القليل من الوعي الذي احتفظ به حتى تلك اللحظة :

« رددي هذه الكلمة، بربك ! أعيديها . تكلمي !

— انت تروق لي . تعجبني . أنا أريدك . وراحت تتطلع الى ثغره الذي يرصد ثغرها وعينيه السابحتين في عينيها، دون ان تتجاهل تأثير تلك الكلمة في حبيبها .

ثم صمتا معاً . وأحس كل منها بوجود حبيبه ينهمر ويسيل في وجوده، لان دم العاشق أصبح دم المشيقة ... وحياة المشيقة أصبحت في دم العاشق...

ووسع الغرفة سكون عميق ... فأصبحت رحيبة كاللانهاية . وكانت أصداء المدينة الصاخبة تصل كأصداء الامواج البعيدة البعد ...

عندها، وبحركة مفاجئة، نهضت هيلين من سريرها، وشدت براحتيها رأس حبيبها، وضمته الى صدرها، وبثت رغبتها في وجهه، وقبلته، وانطرحت على السرير، ودعت حبيبها اليها، وغابا في قبلة عاشقة لا تعي ...

الكونياجي

بقلم يوسف ابو خليل

ايغاله ، داتتانك ، ناوار ، وايتيو اسماء قبائل افريقية اربع تكاد لا تتعدى ربع المائة الف من الانس ، يؤلف مجموعها قبائل الكونياجي المنتشرة حالياً في منطقة يو لوتكون عبر انفوتاجالو ومجاهل غينيا الفرنسية الوسطى المحاذية للصحراء الافريقية السنغالية حيث نزحت لستة من الاجيال خلت ، بعدما اذاقتها قبائل البول هناك شتى انواع التنكيل واقسى شرور الغزوات ..

هذا ، ولا تزال تعيش قبائل الكونياجي في القرون الاولى – بالنسبة للحياة الافريقية ايضاً – غير متعرفة الا على ما قد نسجت عليه اسلافها واجدادها من غريب العادات والتقاليد كتوهمها انحدارها من « الروح » النويمبا Noemba الهها الخيالي الذي اتخذته من دون الله رباً تعبده وتتضرع اليه. والذي تقيم له كل عام عيداً مقدساً يظهر فيه افرادها كل ما لديهم من براعة في فن الرقص والشرب والغناء. فقبل حلول هذا العيد بشهر واحد يقود الباساري (رئيس الكهنة) جميع الفتيان المتراوحة اعمارهم بين السادسة عشرة والسابعة عشرة ، الى الغاب المقدس، هذا الغاب الذي ، كما قد قرأت ايها القارىء الكريم في اعداد الاديب الماضية وكما ستقرأ ايضاً في الاعداد المقبلة ، قلت في القبائل الافريقية من لا تملك مثله، والذي فيه يقدم الباساري فتيانه الى النويمبا كي يبتلعهم هذا بدوره ليخلقهم في ما بعد وفي يوم عيده رجالا جديرين بالانتساب الى قبائل الكونياجي

اما كيف يبتلعهم فهذا ما لم اوفق الى اظهاره من عالم الاسرار والالغاز انما الذي اعلمه ان الفتيان يقضون من الايام ثلاثين بين جوعة ولوعة يقتاتون احياناً مما يعثرون عليه من خيرات الغاب المقدس ولا يرون الا وجوه الوحوش والقردة. وفي اليوم التاسع والعشرين يوافيهم الباساري – الذي يكون قد تركهم في نفس اليوم الذي قادهم فيه الى الغاب المقدس – يرافقه جميع من في القبائل من شيوخ وكهول ورجال ، اذ يحظر على النساء والاطفال رؤية الفتيان قبل اليوم المعين . وفي الغاب يشترك جميع الحضور في الشراب والهرج والمرج وعندما يحلك الظلام يعود الباساري ومن حضر معه الى القرية تاركين الفتيان يقضون آخر ليلة في جوف النويمبا. وفي الصباح التالي يعود اولئك الفتيان المساكين يجرون ارجلهم جراً ، بعد ان يكون قد أخذ منهم الجوع مأخذه ، الى حيث يلقون في استقبالهم جموع قبائلهم تتقدمها امهاتهم كاشفات عن نهودهن للدلالة على ما بهن من شوق اليهم. وعند الملتقى تشق الفضاء صرخات اشبه بصراخ الاطفال وعويلهم يوم الولادة، ثم تتقدم كل أم من فتاها فتأخذه بين ذراعيها



لتشبعه ضماً وتقبيلا ، ثم تبدأ بتعليمه كيف يخطو وكيف يتكلم وكيف يأكل. فاليوم ولدت ابنها حقاً .. واليوم قال له النويمبا كن فكان. ثم تتزايد الضجة والغوغاء من كل جانب كما تعلو ضربات الطبول وانين آلات الطرب. وفي المساء تذبح الابقار والاغنام فيأكل الجميع من لحومها فوق ما تتسع له بطونهم شاكرين للنويمبا جزيل نعمه وعظيم بركته .

هذا وليست الفتيات عند السكونياجي أقل حظاً من الفتيان. فللفتيات ايضاً عيد ابتهاجهن وفرحهن وذلك حين ختانهن. هذا الحين الذي تنتظره كل فتاة بفارغ صبر. وختان الفتاة عند السكونياجي يكون عادة عند بلوغها سن السابعة عشرة، بخلاف ما هو عند سائر القبائل الافريقية التي تجيز اكثرها ختان الفتاة بعد بلوغها العاشرة من السن . ففي بدىء كل عام يجمع اللوكوتا ، الكاهن الوحيد الذي يهيء الفتيان للختان ويتولى رقابة القيام باعمال الختان حسب الشروط التي تتطلبها الشريعة ، يجمع هذا اللوكوتا المحترم جميع الفتيات البالغات السن. ثم يأمر الاكوري - احد المشعوذين - ان يقودهن الى مكان الختان الذي هو عادة في اقرب بيت مجاور لبيت رئيس القبيلة ، حيث يقوم نطاسي الختان باجراء العمليات في حضرة اللوكوتا والاكوري والنساء. وما ان يفرغ النطاسي من عمله حتى تشق النساء الفضاء بزغاريدهن كما يدور شرب عصير الذرة البيضاء فيشرب الجميع حتى الثمالة وترقص النساء والفتيات حتى يدركهن التعب ويدوم الحال على هذا المنوال ثلاثة ايام ويحظر على الذكور الاشتراك في الحفلات. وبعد ذلك يحجر على الفتيات ويمنعن من الظهور طيلة شهر بكامله لا يرين خلاله وجهاً غير وجه الاكوري الذي يزورهن كل يوم ليقدم لهن وجبات الطعام . وعند كل زيارة يقوم بها الاكوري على كل فتاة ان تلاقيه بالهتاف والتصفيق ، فمن ابطأت منهن كان نصيبها انبطاحاً على الارض وقعود الاكوري على ظهرها طول مدة الزيارة ، هذا عدا اللطم والضرب القاسيين وبعد المدة المعينة تظهر الفتيات في احسن الالبسة والزينة وتقرع الطبول وتدق الزمور وتقوم حفلات الرقص ودوراته بلا تعب ولا ملل.



هذا ولا تقف افراح قبائل السكونياجي عند ما ذكرت . فحياتها تكاد تكون عديمة الاحزان، لا سيما وهي من القبائل الافريقية التي تأنس بالموت وتعتقد حدوثه انتقالا من هذا العالم الى عالم النويمبا المقدس حيث النعيم الاكبر . فالشخص الذي يموت اما ان يكون قد استدعاه الاله لحاجة له به ، واما يكون قد اخطأ فاعد له

الانتقام لينقيه من الدنس . وعندها يجب على قبائل الكونياجي اقامة الافراح اظهاراً لعدم اسفهم على الميت وتبرا من الخطأ الذي يكون قد صدر منه ، وان كان الاول فهناك السعادة الكبرى التي يتمناها كل كونياجي ذكر او انثى. وهكذا فاذا وافت المنية احد افرادها اعطي العلم بادىء بدء بالصراخ والعويل انذاراً لحدوث الموت فيهب الاهل وسائر افراد القبائل الى حيث علا الصوت جارين معهم الابقار والاغنام. وبين هذه الجموع المتألبة والمتكاتفة على بعضها بعضاً يلبس الباساري الميت اجمل ما عنده من ثياب ـ اذا كانت لدى هذا ثياب ـ ثم يلفه بحصير ويتقدم لحمله اربعة من اتباع الباساري فيذهبون به الى الغاب المقدس حيث يطرحونه في حضرة النويمبا .. وعلى مرأى من جميع المشيعين يتقدم من جثمان الميت ابوه ـ اذا كان هذا حياً ـ او ابنه البكر اذا كان والده ميتاً فيمطره بالاسئلة محققاً معه عما يكون قد ارتكبه من اخطاء اغضبت النويمبا . ويكون التحقيق في دجاجة تذبح وتشق ليكشف في امعائها عن الآثار الدالة على الخطأ او البراءة فان وجدت للخطأ آثار نزلت على الميت اللعنات العظام حتى من اقرب الناس اليه . اما وضع الجثمان في المقر الاخير فيكون حسب الدرجة والرتبة فمن كان من العامة طرح على التراب ، ومن كان رئيس قبيلة أو عائلة القي على مقعد، ومن كان رئيس القبائل دفنت معه اسلحته وعدته. ثم يعود المشيعون بعد الدفن الى القرية فينزل جميعهم ضيوفاً على ابن شقيقة المتوفي الشخص الذي له الحق الاول بالوراثة ، مدة ثلاثة ايام بلياليها يأكلون ويشربون ويرقصون ويمرحون .. وفي اليوم الرابع ينتقل الجميع الى بيت المتوفي حيث تستقبلهم نساؤه بالاهازيج والزغاريد . ويكون يوم فرح قل نظيره عند قبائل الكونياجي . وفي اليوم الخامس يعودون الى الغاب المقدس يتقدمهم المشعوذون والكهنة حيث تضع عائلة المتوفي على قبره جرة فخارية تعد لتقديم القرابين التي تذبح للنويمبا من حين الى آخر ...



تلك صور خاطفة من حياة قبائل الكونياجي الافريقية اقدمها اليك ايها القارىء الكريم ، فهي صور ان دلت على شيء فانما تدل على بعض ما كانت عليه العقليات البشرية عند بدء وجودها .

يوسف ابو خليل — غينيا الفرنسية

الساري

الليل، والصمت المخيم في المنازل والدروب
والانجم المطفاة، والبدر المكفن بالشحوب
يلقي على الصمت الكئيب سنى من الضوء الكئيب
وانا أسير، وليس يقلقني سوى الصمت الرهيب

حتى مصابيح الطريق الغافيات على الطريق
حتى النجوم الباهتات الضوء في الجو السحيق
مثلي حيارى أرجفتها رهبة الصمت العميق
فتململت تلقي الضياء علي في قلق وضيق

وانا أسير، تكاد اطياف الاسى تدمي خطايا
الليل يخلق لي الرؤى فتزيد وحشته رؤايا!
والصمت يبعث بي الاسى فيزيد رهبته اسايا!
انى مشيت هوت على دربي من الماضي بقايا!!

اواه، واأسفا عليك!! كذا تبعثرك الليالي
يا ذكريات؟ كما تذري الريح اوراق الدوالي!
ساءلت قلبي: اين أنت؟؟ فهل اجاب على سؤالي؟
ام قهقهت ضرباته مني وتمتم ... لا ابالي!

أواه واأسفا عليك! جففت حتى دموعي!
آليت ابحث عنك في القلب المصدع في ضلوعي
فاذا بها مزقاً خوت حتى من القلب الصديع!!
فرجعت يعلوني الوجوم، اذا بطيفك في رجوعي!

يا ذكريات... اجل رأيتك، قد رأيتك في ايابي
يوم انكفأت كما اعود الآن، يثقلني مصابي
وتركتها تنأى وتنأى، وهي تضحك من عذابي!
أقسمت ان انسى فهل انساك يا دنيا شبابي؟!

اقسمت انا انسى اشهدي ان سوف انسى يا دروب
قد لا ترين خطاي بعد اليوم تمضي او تؤوب
فسيختفي ظلي الثقيل فلا يحوم او يجوب
ويلف عندي الحشرجات مع الدجى صمت كئيب!

أنسى... سأنسى فاعولي ما شئت حولي يا رياح
وتسمري في القبة الزرقاء ليلا لا يزاح
سيان عندي يا نجوم ظلام ليلك والصباح!
قد كان لي قلب... ومات، فليس تؤلمه جراح!

والآن ها نذا اعود... يضج بالاطياف رأسي
أتصفح الماضي البعيد، واستعيد هموم امسي
فأرى حياتي مأتماً... وارى المشيع فيه نفسي!!
وانا اسير بموكب الجثمان من يأس ليأس!

بغداد — **عبد الرزاق عبد الواحد**

رباعيات

درب الفضيلة ليس فيه صعوبة كصعوبة الاضرار والايذاء
فاذا رأيت المجرمين فلا تقل: خنقت شمائلهم يد الارزاء
هي فطرة يجنون منها لذة تروي غليل المهجة النكراء
لو يصرف الاوباش بعض جهودهم في الخير، كانوا افضل الفضلاء

يتطاول السفهاء علماً منهم ان الكريم مع اللئام محير
يأبى النزول الى دناءتهم، ولا يرضون ان يرقوا اليه ويطهروا
والحر يخشى ان يمس اباؤه اما الزنيم فاي مجد يخسر؟
عار عليك اذا انكسرت لسافل واذا انتصرت فان عارك اكبر

علام شتمت الناس حين تعرضوا لغيك بالتفنيد والنقد والهجر؟
لئن اغمضوا الاجفان حيناً وجرجروا موازينهم لم يغمضوا ها مدى العمر
ومن رام ستر الجهل بالسب والخنى كمن رام ستر الافق بالانمل العشر
رشدنا، فلم يسلم من الثلب رشدنا فكيف ترجي العز من درك الهذر؟

فج التفوق ما في بابه حرس لكنه فج ارزاء واخطار
فالناس يؤلمهم مرأى النبوغ ولو تقدموا نحوه بالمدح والغار
كم من اديب قضى والجوع يأكله ومجرم حوله نهر الغنى جار
العبقرية حرمان وتضحية وليس يخلد الا كل «غيار»

عاصمة الارجنتين — **الياس قنصل**

السراج

كان في حجرتي سراج من النور يزف الحياة حباً هنيا
ارتدي من ضيائه ذلك الاشعاع يطغي على فؤادي حييا

استشف الالحاظ زاهية التسديد ترنو من البعيد اليا
اتفادى بها عذاب اماني وألقى بها من الحلم شيا
واعي في الفؤاد ترنيمة الحب ورؤيا ترف حيناً عليا
فاشيح الانظار عن ذلك النور وألقي اليه قلباً نقيا
فيه ما فيه من منى تطعن النحس وتدوي طي الضلوع دويا

يا لوقت قضيته في افترار كنت فيه بكل حلم حفيا
والسراج المنير يملأ اجوائي جمالا مرفرفاً قدسيا
وانا اثره انطلاق من الوجد حشدت الحياة في عينيا

في مساء حيران خالجني الشك واضنى بلمحه ناظريا
فتلفت انظر الضوء ينهد ويذوي بكل وهج عييا
وتنبهت من ذهولي ورويت سراجي بالزيت فارتج حيا
وتهالكت في مكان قريب املأ الطرف بالشعاع سنيا
ثم لونت في جفوني احلام غرام تضوع بالطيب ريا
غير أني افقت من هجعة الحلم ومرغت بالاسى جانبيا
فاذا باللهيب يحرق آمالي ويصبو الى ضلوعي غويا
فمددت الخطى بعيداً كمن خلف خلف الخطي وباء فريا
فاذا قصري الجميل يواريه دخان اللهيب في الموت غيا
سادلا فوق ادمعي هدباً يهفو عذاباً ويستريح تقيا
هكذا هكذا فقدت سراجي وتسكعت في الظلام شقيا
اسأل الليل عن ضياء جديد يتراءى في قصر حلمي مليا

يا سراجاً انار قلبي زماناً رد هذا السنى غراماً صفيا
انت نجوى باركتها ثم روعت فولت سعادتي من يديا
فيك من مهجتي بقايا دماء نثرتها الآمال نوراً بهيا
هذه اضلعي حلال لك النسج فخذها وانسج بها وتزيا
ان اطلال اضلعي انت ألويت عليها لهيبها الابديا

دمشق — **تيسير شيخ الارض**

عيـون

أغرب .. من اسطورة شرقيه !
اعمق .. من مشكلة علويه !
ادفأ .. من صدر ابنة صبيه !
أغيب في أجوائها السحريه ..
والرعشة .. العاتية .. القويه ..
تنفضني .. خلية .. خليه !

في البؤبؤ الصغير .. في الطويه !
جوهرة .. براقة .. سنيه ..
سوداء .. مثل ليلة صيفيه !
حرت بها لما رنت اليه !
ماذا ترى تقصد .. اي نيه ؟
أبسمة .. في النظرة المرميه ؟
ام دمعة .. حبيسة مطويه ؟

اختاه ! . اي رغبة خفيه ..
تخفينها في اللفتة السخيه ؟
انت بدأت القصة الشقيه ..
نظرت .. وابتعدت في سخريه ..
كأنك اعتبرتها منهيه !
وبت وحدي .. انسج البقيه ...

دمشق — **شوقي بغدادي**

نزوة

أنت في الماخور في ارجوحة الليل الضرير
جن نهداك وضاق الساق ذرعاً بالسرير
وأنا الأفاق في الحانة لم ابرح حصيري
اقطع العمر على لحن من البؤس المثير

كل ما في عالمي المقوت جوع واوام !
ورصيف بين عطفيه تبناني الظلام
ولهيب عبقري منه في ذاتي ضرام
ورقيق ابيض ويلاه ! في السوق يسام ؟

من بخور الفكر ... آمالي ومنه الذكريات
والجياع اليوم ندماني وسماري الحفاة
ورنين القيد يا رعناء في اذني صلاة
وذئاب الروح اخياري وعبادي الزناة
قد تركت الحان لم أستبق في الكاسات شيا
غير اني لم ازل يا دعد اسوان ظميا ! !

قربي نهديك يا دعد وعلي شفتيا
واذا ما اقبل الفجر دفوق النور حيا
سوف يمحو منكب الفجر خطايانا سويا!!

غزة — يحيى برزق

بلبل

الى الاموات ... وشاعرهم كيتس

*

ايهذا البلبل الحائر في صمت الليالي يتغنى
ايهذا الروح يشدو كالمعنى ،
ايهذا الجرح ماذا تتمنى
ناثناً عمرك الحاناً ومعنى ؟!
في ظلام الليل والصمت الجميل،
غني لحناً كئيباً، وامض في الدنيا رسولي
في ظلام الليل ، في وادي الذهول
كلنا يا بلبلي دون دليل !
ايهذا النتفة الحمراء من نور ضلول ،
في ظلام العمر ، في نتن السهول !
هذه روحي كقيثار من الصمت ملول ،
فاعزف الالحان من امس اماني العليل!!
ايهذا الروح يا لحناً من الموت العتيم ،
طافياً في صفحة الاوهام والنوم السقيم
حاملا سر الليالي ، والنجوم
شادياً كل عذاب باكياً عهد الغيوم
ايهذا الطائر المجروح بالنور الخضيب
او لم يضنك هذا الشدو في التيه الجديب؟
او لم تشعر بنار الموت في لون الغروب؟
ايها الحالم،يا صوتاً من الوهم العجيب !!
انا يا بلبل اترعت كؤوسي وفؤادي
من دماء الفجر،من طيب ازاهير الوهاد!
وتمددت لاخلو لتلاوين مرادي
في ظلام الليل والصمت هنيئاً بانفرادي.
فلماذا جئت من اعماق اعماق الليالي،
فتغنيت ، فألهبت رماداً في خيالي ؟؟

ايهذا البلبل المافون ، يا راح التسالي
دعني في صمتي اصلي للجمال !
لحنك الاسوان يأتيني كموج من ضياء ،
لونته قبل حمراء من لون الدماء ،
ايهذا البلبل المحبوب دعني وشقائي
امضغ الوهم واحلام الرجاء !!
ولتعد لليل ، للصمت .. لاعماق الظلام
فهنا تحزنني الاصوات حتى في منامي
واذا رمت اغني للغمام
يصرخ الرعد فيمحو من سما قلبي سلامي!!

دمشق — على الجندى

الجبل

*

انا يا اعتزازي بي انا ازل ، يسير على الدنى
انا ، قبلما انا ، كنت عزم الصخر، في جبل لنا
قدت ذراعي ، من يقين مؤمن ، في ارضنا
وطى جبيني ، قهقهات الشمس ، سمراء السنا
امشي ، فأي ذرى تظل ذرى ، واي هنا هنا
واطل ، من فوقي ، اطل خرافة ، فوق المنى
واطل..علّ اري حدوداً لي، واعرف موطنا
يا ارض ، يا انا موسماً بحراً ، وافقاً سوسنا
هذي ذراي ، وتلكم الاعماق لي، والمنحنى
واكاد ، لو ان الربيع مضى ، ولم يحفل بنا ،
اتجسد الدنيا ، وانشرها ربيعاً احسنا
انا لي يد ، ترمي المحال ، على طريقي ، موهنا
لي معول من:«كن تكن» دنيا،ومن جودالغنى
يغلي ، ويخفض ، كالاله ، وللجبال يقولنا :
ان كيف نعتجن الاشم ونستذل الارعنا ،
ونشق صدر الارض ، جنات سخيات الجنى
انا من ترابي ، من ذهول اسمر ، انا من«انا»

احمد شحادة



الحلقة المفقودة في تاريخ العرب

للاستاذ محمد جميل بيهم - ٢٤٠ صفحة - مطبعة البابي الحلبي بمصر

عرفت الثقافة العربية القديمة للتاريخ حقه ، ورعت جانبه ، فان ركن التاريخ في مكتبة العرب حافل بروائع الآثار ، ومامن عصر من عصور الشعوب العربية الا تمخض عن كتب تاريخية تجمع بين التعدد والتنوع جرت بها اقلام الاعلام من العلماء ...

غير ان هذه الكتب التي يخطئها العد ، ولا يستطيع ان يستوعبها الفرد ، تتجلى فيها خصلتان على وجه عام: اولاهما - انها تعنى اكبر ما تعنى باحداث الحرب والسياسة . والاخرى - انها تلتزم في غالب امرها خطة السرد والاخبار . والخصلة الاولى تجعل هذه الكتب جانبا واحداً من التاريخ ، لا التاريخ كله . واما الخصلة الاخرى فانها تحيل هذه الكتب مادة للتاريخ ، لا كتباً في جوهره الخالص وفنه الرفيع .

واذن فقد ظلت المكتبة العربية مفتقرة الى مؤلفات في التاريخ العربي ، تعرض حضارته وما اعتورها من عوامل التقدم والتخلف ، وتسجل احوال شعوبه العلمية والاقتصادية والاجتماعية ، غير مقصورة على تواريخ الملوك والدول ، وان يكون ذلك العرض والتسجيل جارياً على المناهج المقررة في الدراسة والبحث وفي استبطان الاسباب والعلل ، وفي احسان الموازنة والاستخلاص ، حتى تستبين التيارات التي تعمل ظاهرة او خفية في مجرى التاريخ ، فتعلو بها الامم او تهبط ، وتسعد او تشقى ...

وفي هذا العهد الذي هو خليق بان يسمى عهد الانبعاث لتجديد العلوم والفنون والاداب في الشرق كله ، كان لزاما ان يسد ذلك النقص في فن التاريخ العربي ، حتى ياخذ حظه من ذلك التجديد الذي تسامت اليه الهموم ، وتوجهت نحوه الآمال .

وبين الطليعة ممن حملوا لواء التجديد في كتابة التاريخ ، صديقنا الاستاذ الجليل « محمد جميل بيهم » ، فقد وهب لهذا الفن مواهبه ، وقصر عليه جهده ، فهو يزود المكتبة العربية في نحو ثلاثين سنة — على ما اعلم — باشتات من المؤلفات في جوانب التاريخ العربي والاسلامي ، تعد في جملتها مثلا رائعاً من امثلة الجهاد في سبيل الانتقال بذلك التاريخ من مرحلة السرد والاخبار والانتصار على شؤون الملوك والدول ومشهور الشخصيات ، والدخول به في مرحلة جديدة من تصوير الحياة على اختلاف الوانها ومناحيها في عصور العربية والاسلام ، وذلك على نحو من استيفاء التحليل والتعليل ، والربط بين النتائج والمقدمات .

ولا ريب ان هذا المؤرخ المجدد خليق بما نال من مكانة علمية كريمة ، فهو احد اولئك القلائل الذين تعشقوا العلم ، واخلصوا له الحب ، واوجبوا على انفسهم التخصص ، وصبروا على التقصي والمثابرة في غير ملالة ولا نكوص . وذلك كله الى جانب ما فطر عليه من قدرة على التمييز والتمحيص ، ومن المعية في تفهم التاريخ واستكناه بواطنه .

انك لتقرأ ما يكتب من مؤلفاته التاريخية ، فيتوضح لك ما حدث من مختلف المراجع والاصول ، وما عانى من جهد في البحث والاستقصاء ولكنك تراه وقد عدل بك عن المادة السطحية للتاريخ ، وتغلغل بك في الاعماق يستشف لك ما وراء الظواهر ، فاذا انت واقف على حقائق ونتائج لم يكن امرها بالهين الميسور .

ولعلي لا اغمطه حقه اذا قلت بانه يجمع في اهابه بين « الطبري » « وابن خلدون » ... ففي مؤلفاته التاريخية مزاج من ثقة الراوي الامين ، ونظرة الناقد البصير .

وان مؤرخنا المجدد ليمتاز بخير ما يتحلى به الكاتبون في التاريخ ، ذلك هو الاتزان . فانت ترى في عامة كتبه رصانة في التدوين ، فلا جوح في الحكم ، ولا ركون في العرض ، ولكن دقة فيما يبسط من المعلومات واعتدال فيما ينتهي اليه من الاراء .

وهذا الاتزان الذي تمتاز به كتبه ، يجلو لك شخصيته ان كنت لم تأنس بمجلسه ، فهو رجل يكسوه وقار العلماء ويسوده هدوء الطبع ، وينم حديثه عن سماحة نفسية اصيلة .

وبين يدي القارىء كتابه الجديد « الحلقة المفقودة من تاريخ العرب » ، يواصل به تاريخ الامة العربية الذي بدأه في كتابه « قوافل العروبة ومواكبها » ... وفي هذا الكتاب

الجديد تلتقي خصائص مؤلفه في تدوين التاريخ فهذه الحلقة المفقودة حسبها من ضمان التقدير انها حلقة من تلك السلسلة الذهبية التي يسديها الاستاذ محمد جميل بيهم « الى المكتبة العربية ، لتخلد معها ما خلدت على الزمان ...»

القاهرة — **محمود تيمور**

فلسفة ابن سينا

ترجمة رمضان لاوند - ١٣٢ صفحة - دار العلم للملايين بيروت

عنوان الكتاب التام « فلسفة ابن سينا وأثرها في اوروبا خلال القرون الوسطى » سبق لمؤلفته المستشرقة أ.م. جواشون ان القته في محاضرات ثلاث في مؤسسة الدراسات الشرقية الافريقية التابعة لجامعة لندن خلال سني الحرب الاولى . تقول المؤلفة في المقدمة : « حاولت في المحاضرة الاولى رسم الخطوط الكبرى كفكرة عرفتنا عليها جهودنا الدراسية السابقة ووضحتها في اذهاننا . وبادرت في الثانية الى دراسة اللغة الفلسفية التي اجد في متابعتها فائدة . فقارنتها بالاصطلاحات التجريدية التي ظهرت اثناء نمو الحضارة الاسلامية . اما الثالثة فقد حاولت فيها اكتشاف ميادين جديدة تكاد تكون مجهولة تماماً لم يجرؤ المستشرقون على اقتحام مجاهلها في اثر مؤرخي الفلسفة الغربية . وظننا ان في هذه الميادين مادة لدراسات ومؤلفات جوهرية اساسية . »

والكتاب مترجم ترجمة موفقة في اسلوب عذب اعان المترجم عليها تمكنه في اللغتين الفرنسية والعربية

حديقة النبي

ترجمة كمال زاخر لطيف - ٦٤ صفحة - منشورات مكتبة البستاني بالقاهرة

كتاب الفه بالانجيزية النابغة اللبناني جبران خليل جبران وترجمه الاستاذ كمال زاخر لطيف ، وكتب مقدمته الاستاذ عدنان الذهبي ، وفيما يلي بعض ما في هذه المقدمة القيمة :

« حقيقة جبران خليل جبران في نظرنا هي انه اديب ، شاعر ، فنان ، كان قد حاول التفلسف الا انه اخفق في هذه المحاولة ، وكشفت لنا كتاباته عن تحكم الفن واساليبه فيه تحكماً يدفعنا الى التساؤل : ما اذا كنا في تاريخنا العربي المعاصر يحق لنا ان نعد جبران خليل جبران في عداد المفكرين ، ام ندرجه في زمرة الادباء ، الشعراء المجددين ونعده بهذا اديباً فناناً ، ظل ، رغم افكاره وآرائه يعيش في اوهامه وخيالاته يطرب للجمال ، ويتغنى به كما يطرب للخيال او يهيم بثمراته اكثر من طربه للمنطق ، يقيد نفسه به ، او للحقيقة المجردة فيقف عليها حياته .

« اما مقومات نفسيته او طابعها الاصيل فهي تسمو في الحقيقة ، في خياله الجامح ، القفاز ، الذي كان يلتقف كل ملكة فيه خياله الذي كان يصغر الى جانبه العقل الناقد البصير ، الذي له ، والذي لم يقيض له من يوجهه الوجهة الفلسفية الصحيحة ، فانصب على تجاربه - وما اكثرها - يجعلها مادة شعوره وتفكيره وكتاباته ، شأنه في هذا شأن الادباء .

«هذا الكتاب يصور لنا الجانب الاعتقادي عند هذا الاديب النافذ البصيرة ، الحاد الذكاء ، وبخاصة فيما يتعلق بمنحنى تطوره النفسي والفكري

«اما الترجمة الموفقة التي قام بها صديقنا الاستاذ كمال زاخر فهي ، في الحقيقة تستحق كل ثناء وتقدير فقد عمل جهده على ان يبعث لنا جبران في اعماقه ، جبران بتعبيراته كما وضعها وتشبيهاته كما رسمها واسلوبه كما حبره ، وموسيقاه كما صاغها فالتزم بهذا ان شئت ان تقول الحرفية ولم يسيء بهذا قط الى

جبران بل احسن كل الاحسان ».

الا ان الذي لفت النظر في هذه الطبعة خلوها من الرسام الرمزية التي تحويها النسخة الانجليزية.

ولنا امل في ان يتدارك الاستاذ ميخائيل نعيمة امر هذه الرسوم في طبعته الحالية للمجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران

اعلام من الشرق والغرب

لمحمد عبد الغني حسن - ٢٠٤ صفحات - دار الفكر العربي بالقاهرة

يقول المؤلف الفاضل في مقدمة كتابه: «بين دفتي هذا الكتاب بضعة عشر علماً من الشرق والغرب لم يفرد الكتاب عندنا لهم التراجم وانما تأتي سير اكثرهم متفرقة مبعثرة في اسطر قليلة هنا واسطر قليلة هنـاك. فلا يستطيع القارىء ان يقع لاحدهم على ترجمة مستقلة له يمكن ان يعول عليها او يرجع اليها مرة واحدة.

ومن عجب ان اكثر هؤلاء الذين اخترتهم من الشرق لم تترجم لهم كتب التراجم المتداولة بين ايدينا.

ولا ادعي هنا اني احييت من رجال نهضتنا مغموراً او نشرت مطموراً، ولكنني لخور كل الفخر حينما هيأالله لي ان اصبر بعض الصبر فاجمع اشتاتاً من سير هؤلاء الاعلام، آخذها من بطون الكتب واقطفها من ثمرات افكارهم في آثارهم اولمحها على قرب ممن عاصرتهم، فأجعل منها هذه الدراسة المستقلة التي ارجو ان يرضى عنها اصحابها في رضوان ربهم وان يرض عنها الحق الذي كنت انشده دائماً حينما وجهت نفسي الى هذه الغاية.»

والاعلام الذين ترجم لهم حضرة المؤلف هم: مصطفى مختـار بك، الشيخ محمد شهاب الدين، الشيخ محمد عيـاد الطنطاوي، محمود صفوت الساعاتي، السيد علي الدرويش، الشيخ حسين المرصفي، حسن حسني الطويراني باشا، شوقي وحافظ بين الكتب، الشيخ محمد شاكر، الدكتور اسماعيل ادهم، فخري ابوالسعود، محمد اسعاف النشاشيبي، انطون الجميل باشا، هنري دافيدثورو، جايمس رسل لويل، ادجار والاس.

حديث العشية

لبولس سلامة - ١٤٤ صفحة - منشورات الرسالة المخلصية بصيدا لبنان

اهم مواضيع الكتاب هي التالية: ما هي الفلسفة، الذاكرة الاخيلة والصور، العادة والعزيزة، الاحلام، الواجب الادبي المسؤولية، الخير الاسمي، المحبة، اساس الاجتماع السياسي واساس السلطة، ما هي مهمة الدولة، الشك، التطور، الحلوليون، الرواقية الخ ...

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: « ما كنت احسب يوم انشأت هذه الاحاديث (القيت في المذياع) انها ستلتقي في كتاب ولو توقعت ذلك لالفت بينها كما يؤلف الباني بين شتيت الحجارة. اما وقد جمعت فلعل في هذه الحصى البديدة واحدة يستحسنها البناء لدعم حجر الزاوية.

« ... نظرت ما يعرضه المذياع من احاديث فرأيت اكثرها يدور على القصة او النقد الادبي على اضطراب في المقـاييس، وتباين في الموازين، فاحببت ان ادير معظم الابحاث على الفكر، وهو الذي لا امس له ولا غدة، لان الانسان موصول الماضي بالحاضر والمستقبل. ولقد اقتبست كثيراً من مفكري الغرب، واضفت كثيراً، وناقشت ومحصت وضربت الامثـال وارسلت النوادر لاخرج بالسامع عن التجريد والابهام، حتى ليخيل اليه وهو يسمع ادق المواضيع واعمقها انه يسمر مع اصحابه في ليلة شتاء يحلو فيها السمر.

وتعمدت سهولة الاسلوب فجعلته اقرب الى البساطة منه الى الاناقة وزخرف القول. وقد لا يكون في هذا الكتـاب نفع للمفكرين الراسخين في العلم، ولا لاساتذة الفلسفة المصعدين في آفاق المعرفة، ولكنني اوقن انه جزيل الفائدة للطبقة الوسطى من المتعلمين، واجزم ان فيه توجيهاً صحيحاً للنشء العربي، والنشء احوج ما يكون — في عصر طغت فيه المادة — الى التحصن الاخلاقي، وتفهم القيم الروحية ».

والاستاذ بولس سلامه مؤلف الكتاب، كاتب قدير وشاعر مشهور وصاحب اول ملحمة في الشعر العربي.

السياسة الاميركية او سياسة القواعد الاميركية

لفؤاد الحاج — ١٤٢ صفحة — مطابع الاستقلال بيروت

هي الرسالة التي نال بها المؤلف دكتوراه الحقوق من جامعة باريس، والتي رفعته الى مصاف الناقدين السياسيين المشهورين.

يقول المؤلف في كلمته الاولى: « لست من محبذي السياسة الاميركية كما اني لست من مؤيدي سياسة روسيا، وجل مـا توخيته في كتابي اطلاع الرأي العام العربي على بعض الحقائق الثابتة في سياسة اميركا وتوجيهاتهـا، موضحاً مآربها، محللا خفاياها، متتبعاً مقاصدها، فانبه العالم العربي تنبيهاً علمياً محذراً

اياه من الانخداع بالمظاهر ، والجري مع تيارات الدعاوة المنمقة روسية كانت ام اميركية راجياً ان تتمكن بلادي من اجتياز هذه المرحلة الحرجة من جهادها فتصل الى شاطىء السلام باقدام ثابتة ، دون ان تمر بمحن جديدة كمحنة فلسطين فتكون سياستها بتحريرها سياسة عربية صرفة منبثقة من جوهر معالمنا القومية ، لا من مصالح اجنبي قوي يجعل من وجودنا مطية لتقوية وجوده وتعظيمه » .

بلاسم

للحوماني — ٢٥٢ صفحة — مطابع ابن زيدون بدمشق

اصدر صديقنا الاستاذ محمد علي الحوماني هذا الكتاب ولخصه بهذه الكلمات: «في هذا الكتاب اثنا عشر فصلا أولها الخلق وآخرها اللحن ، عالجت فيها كما افهم ، ضروباً من العلم والادب والفن ، لاشارك الزعيم بلاسم [هو الزعيم الوافي ابو بشار الشيخ بلاسم آل يس الذي انفق على اخراج هذا الكتاب] في خدمة الحق من وراء تغذية الفكر الحديث وتنميته ، وتوجيهه الى حيث يعز ويسمو فاسأل الله العفو عما اخطأت والثواب فيما اصبت » .

اما ابن ولد هذا الكتاب او مواضيعه على الاصح فيقول المؤلف في كلمات قليلة استقرت في اسفل صفحة كبيرة بيضاء ناصعة : « وضعت فصول هذا الكتاب من باب « الحكمة » حتى « الفكر » على شاطىء الاسكندرية في مصر ، ومن فصل « النور » حتى « الحب » على شاطىء بحيرة مشفن في اميركا اما فصلا الخلق واللحن اللذان يكتنفان الكتاب فقد وضعا في الشام على شاطىء بردى »

اساليب التفكير

لعبد المنعم عبد العزيز المليجي -١٨٢ صفحة -مكتبة نهضة مصر بالفجالة

المؤلف مدرس علم النفس المساعد بمعهد التربية عاش افكار كتابه عندما كان مدرسا للفلسفة بمدينة حلوان. يقول في المقدمة: «قد لاحظت ان نفرا من خيرة المثقفين ثقافة فلسفية، بعدت بهم الفلسفة عن واقع الحياة الانسانية ، ومت بهم عن التنازل ليعيشوا في وئام مع عامة الناس وقضى وهم العبقرية في أحلامهم على اي تقدير للجموع الغفل ، وان ثمة قوما آخرين اكثر تواضعا من هؤلاء السادة احدث فيهم الانصراف الكلي الى الكتب نظرة تشاؤمية عدوها عمقاً وفلسفة وما هي في حقيقة الامر غير عرض من اعراض انحلال نفسي ، مرده الى تغلب ناحية من نواحي النشاط الانساني على حساب غيرها ، واهمال نزعات طبيعية لا تقل عن نزعة البحث العلمي كالحب والنزوع الى الجمال والكفاح العملي .. وغير ذلك من نزعات يلطف ارضاؤها من جفاف الحياة ويبيد الاشجان ويمحو الشكوك ..

« كل هذه الامور مجتمعة جعلتني افكر في تأليف كتاب صغير محاولة مبدئية لعرض مختلف اساليب التفكير على نحو تكاملي فلا يكون كتابا يجمع نظريات العلم والفلسفة بل كتاباً يضم المناهج التي يستخدمها العلماء والفلاسفة والفنانون والمؤمنون في الوصول الى الحقيقة التي هي هدف الجميع المشترك »

فصول الكتاب عشرة : التفكير بين الانسان والحيوان ، التفكير الخرافي ، التفكير الفلسفي فلسفة الشعب الصامتة ،

الفلسفة بالمعنى الخاص ، التفكير العلمي ، اين ينتهي العلم ، اتحاد العقل بالحقيقة ، عودة الروح الى الحق ، الاتزان الفكري »

مختارات الحداد

للمرحوم الخور اسقف يوسف الحداد - ١٩٠ - صفحة من منشورات مجلة الورود - بيروت

هي شذرات مختارة من منثور ومنظوم المؤلف جمعتها «لجنة احياء ذكرى الحداد» تخليداً لذكراه الطيبة وخدمة للغة والادب. عسى ان تكون هذه المختارات حافزا بالنشء المختار لبلوغ الغاية التي توخاها المعلم من وضعها وهي تقويم اخلاق الامة وتوطيد دعائم استقلالها ونشر لواء الفصحى عالياً في مشارق الارض ومغاربها .

دراسات في الاجتماع

لعبد الفتاح ابراهيم - حجم كبير - ٣٢٤ صفحة - مطبعة الرابطة - بغداد

تمثل هذه الدراسات محاولة جديدة لعرض بعض موضوعات علم الاجتماع بشكل مبسط . علم الاجتماع موضوعه واسلوبه ، مذاهب الفلسفة وعلم الاجتماع . المجتمع تكوينه ومنشؤه ، مقدمات المجتمع ، الجنس والبيئة والاقتصاد ، التطور الاجتماعي عوامله ووجهته ، مظاهر التطور الاجتماعي الحضارة القومية تطور القومية ، القومية الاقتصادية، القومية الاشتراكية الحركة القومية في آسيا

تشعر عندما تقرأ هذا الكتاب بالجهد الذي بذله المؤلف في سبيل تيسير موضوعاته فهو كتاب يحتاج الى دراسة طويلة بالنظر لخطورة موضوعاته وافتقار اللغة العربية اليها في ظرف نحن باشد الحاجة فيه الى ما يوجهنا الى طريق الصواب .

المساء الاخير

لشاذل طاقة - ١٠٧ صفحات - مطبعة الاتحاد الجديدة - الموصل

مجموعة شعرية يلفت النظر فيها ان صاحبها جرى في عدد من القصائد على نسق منطلق لا يتقيد بقافية موحدة ولا يلتزم عددا معينا من تفعيلات البحور فانك تجد في البيت الواحد تفعيلة أو تفعيلتين يقول الناظم في صددها انها ربما تكون غريبة بعيدة عن « عمود الشعر » الذي تغنى به نقادنا القدماء ولا يزال بعض الناس يتغنى به حتى هذه الساعة. وهذا نموذج من شعر الشاعر :

مضى الليل واختبأ الكوكب وهذا خيالك لا يذهب
وبت وبات الكرى نافرا اراه ولكنه يهرب
وناديت حتى سئمت النداء وعاد الصدى ساخطا يغضب
لقد كان لي امل زاهر تولى وخلفني اندب

اساطير

لبدر شاكر السياب - ٩٤ صفحة - من منشورات دار البيان مطبعة الغري بالنجف

مجموعة شعرية قدم لها الناشر بقوله: بدر شاكر مطلع لنشيد غنائي بدأ ولم ينته بعد هو في ربيع العمر ولكن روحه تحلق في سماء الفن والحب والجمال وجاء في المقدمة «اول ما يلتقي به قاري، هذا الديوان نوع من الموسيقى لا عهد به لاغلب قراء الشعر في العراق» وهناك ظاهرة اخرى في هذه القصائد هي تنادي المعاني وتداعيها ومزج الوعي باللاوعي وتلوين الامل بالذكرى . وهذا يظهر في القصائد « القرية الظلماء » « في السوق القديم » و « نهاية » لقاء ولقاء واتبعيني وغيرها

اريق على ساعدي الدموع وشدي على صدري المتعب
فهيهات الا اجوب الظـلام بعيداً الى ذلك الغيهب
فلا تهمسي غاب نجم السماء في الليل اكثر من كوكب

ظهر حديثاً

● الذكرى المئوية الثانية عشرة لوفاة القديس يوحنا الدمشقي - ١٤٦ صفحة - هيئته مجلة المسرة - المطبعة البولسية في حريصا. وهو مجموعة مقالات يخرج منها القارىء بترجمة وافية لصاحب الذكرى كتبها نفر جليل من علماء الاكليروس .

● ذكرى حجة الاسلام الامام السيد ماجد الوامي التعليقي - جمعها وألفها الخطيب محمد حسن الشخص - ١٢٠ صفحة - المطبعة الحيدرية في النجف. ويشتمل الكتاب على نشأة صاحب الذكرى وحياته واخلاقه ومكانته في الحياة الاجتماعية ، وشخصيته وما قيل فيه من الشعر .

● من وحي اقطاب العلى - بقلم غالب الناهي - ٣٦ صفحة - المطبعة العربية بالبصرة ، وهو مجموعة اقوال ومقالات نشرت في الصحف املتها المناسبات خدمة لآل بيت النبوة .

● امارة الكويت ونهضتها الثقافية - وضع ادارة معارف الكويت - ٨ صفحات - وهو التقرير المختصر عن امارة الكويت ونهضتها الثقافية الذي وزع في المؤتمر الثقافي العربي الثاني.



الحيــاة الادبيــة

على ضفاف الخليج الفارسي

بقلم محمد سعيد المسلم

❖

للجانب الشمالي الشرقي* من شبه جزيرة العرب ، الذي أطلق عليه اسم «ديلمون» في الزمان القديم . و«البحرين» أخيراً.. ماض ادبي ملحوظ ، فمنذ ان استوطن بنو عبد القيس وبعض بطون ربيعه ذلك الصقع بما فيه جزيرة «أوال» و«القطيف» والبلاد المتاخمة لها ، كان كغيره من البلاد التي تسكنها العرب له شعراؤه النابهون الذين حفظ لنا التاريخ اسماءهم بين شعراء الاقطار العربية الاخرى .

فقد أنجبت هذه البلاد ـ منذ العصر الجاهلي ـ شعراء افذاذاً كان لهم الصيت البعيد في تاريخ الآداب العربية ، وقد كانت ايضاً على مكانة مرموقة تلفت نظر كل باحث متتبع مؤرخ للآداب منذ ذلك الحين .

فقد خص ابن سلام الجمحي المتوفي عام ٢٣٢ هـ شعراء البحرين بالذكر ، فذكر في كتابه «طبقات الشعراء» في الفصل الذي عقده لشعراء القرى العربية بلاد البحرين ، فعدها من جملة البلاد التي تساهم في النشاط الادبي آنذاك ، فجاء في خلال حديثه «ان في البحرين شعراً جيداً وفصاحة» وذكر بعد ذلك جملة من شعرائه كعائذ بن محصن بن ثعلبه . والمثقب العبدي والممزق العبدي . والمفضل بن معشر بن عدي الى جانب نخبة من اشعارهم الرائعة .

هذا الى انه جعل في الطبقة الرابعة للجاهليين طرفة بن العبد الشاعر البحريني صاحب المعلقة الشهيرة .

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فذكر انه كان يعد من الطبقة الاولى لولا قلة شعره الموجود بأيدي الرواة وذكر ايضاً في محل آخر صفحة ١٧ في كلامه واستدلاله على ذهاب العلم وسقوطه وقلة ما بقي فيه بأيدي المصححين ما لطرفة من المكانة والشهرة والتقدمة ، وان ما حفظ له شيء قليل بالنسبة الى مكانته وشهرته ، وذكر خاله المتلمس في الطبقة السابعة للجاهليين ، وهو ايضاً شاعر بحريني معدود من الشعراء الفحول .

ولقد انتجت هذه الربوع على توالي الزمن شعراء كثيرين أخذوا مكانهم في عالم الشهرة والذيوع ، وهذه الأقطار وان كانت في حد ذاتها متخلفة عن ركب الحضارة أبان الفتوح الاسلامية ، وبعيدة عن المحيط الثقافي أيام ازدهار الآداب العربية ، الا انها لا زالت بين حقبة واخرى تطلع على العالم العربي ببزوغ كوكب لامع ، فتنجب شاعراً من الشعراء الفحول ، يطير صيته في الآفاق ويرن صداه بين الاجيال .

ففي أواخر القرن السادس للهجرة أنجبت هذه البلاد شاعراً فحلا ، استرعى شعره انتباه الادباء ، وتحدث لنا التاريخ عن حياته المليئة بالجرأة والمغامرات ، ذلك هو الأمير جمال الدين ابو عبدالله علي بن مقرب العيوني الاحسائي المتوفي سنة ٦٢٩ هـ

فهذا الشاعر ولد بالاحساء ، وتلقى فيها مبادىء ثقافته ، وقرض الشعر في العاشرة من سنيه ، ونشأ في عصر بلغت فيه اللغة العربية وآدابها الدرك الأسفل من التأخر والانحطاط ،

* حديث أذيع من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية .

• الى السيد يوسف رمضان ـ باريس

لست ادري اين هو الان الشاعر الاستاذ محمد علي الحوماني.

فلا اكاد اقرأ عنه في صحف امريكا الشمالية حتى يكون انتقل الى افريقيا ، وآخر اخباره انه كان في سوريا ثم في العراق ثم في سوريا ولست ادري اين يكون حين صدور هذا العدد ، فصديقنا الحوماني اصبح مثل السندباد.. .اما مجلته العروبة فمحتجبة .

• الى اخواننا الاعزاء قراء الاديب

نعتذر لاضطرارنا الى اصدار هذا الجزء من الاديب على هذا الورق الذي لم نر مثله في ايام الحرب...فالورق مفقود من السوق. اخفاه المحتكرون، وقد ارتفع سعر الماعون (٥٠٠ طلحية) من ٧ ليرات الى ٢٣ ليرة وهي القيمة التي دفعناها ثمنا لكل ماعون من هذا الورق الذي ترونه والاسعار في ارتفاع دائم .

اما وزارة التموين فهي لا تصدر صحفاً لتشعر بالحاجة الى الورق ؟ وكل ما نرجوه في بلد لا قيمة للفكر فيه...هو ان نتمكن من المثابرة على اصدار الاديب بعد ان اصبحت خسارتنا الشهرية حاليا توازي خسارتنا السنوية في الماضي ...

حيث دب فيها الركود واستولى عليها الجمود والتقليد ، ومع هذا ترى ان هذا الشاعر قد بلغ غاية من التفوق ، فاتى شعره مرآة صافية للشعر الوجداني والوطني ، ولا اثر فيه للالوان البديعية الثقيلة التي اصطبغت بها آداب ذلك العصر .

ولو قلنا انه خير ما انتجته تلك العصور المتأخرة، فاننا حسب تتبعنا لدراسة تاريخ الآداب، لانعدو الحقيقة والواقع فيما نقول.

وفي القرن الحادي عشر الهجري ظهر في بلاد البحرين شعراء كثيرون ذكر منهم ابن معصوم صاحب «سلافة العصر» احد عشر شاعراً من بينهم الشاعر الكبير ابو البحر الشيخ جعفر الخطي الذي حاز على اعجاب وتقدير من لدن ادباء عصره المشهورين ، كالعلامة البهائي صاحب «الكشكول» ، ومن المؤسف ان ديوان شعره لا يزال مخطوطاً في زاوية الاهمال ، ولم يطبع حتى الآن.

اما الحقبة الاخيرة فقد كانت حافلة بما نبغ في هذه البلاد من من شعراء وادباء ، ففيها ظهر الشيخ حسن الدمستاني. والشيخ حسن التاروتي. والشيخ عبد المحسن التاروتي. والذهبة. وعبدالله ابن سلطان. والشيخ سلمان المانع. والشيخ يوسف ابو ذيب. وعبد العزيز الجشي. واحمد بن مهدي. والزهيري. وسليمان المسلم وغيرهم .. وكل هؤلاء قد أخذوا حظهم من الشهرة والظهور، واشعارهم لا تزال محفوظة في الصدور ، ومرعية على جانب من الاهمية .

اما الاتجاه الادبي في شعر ادبائنا هؤلاء ونثرهم، فهو لا يعدو الطريقة الكلاسيكية والاساليب الموروثة، فهو على وتيرة ما تقرؤه لسائر الشعراء والكتاب في ذلك العصر وما خلاه من العصور، فالشعر عندهم لا يعدو المديح والرثاء والغزل وسائر أبواب الشعر العربي ، والنثر ايضاً كذلك مثقل بالاسجاع محدود الاتجاه .. فيما كتبوا من رسائل ومؤلفات.

***

اما حين أشرقت أنوار النهضة الحديثة على العالم العربي ، واخذت الآداب والفنون سبيلها في التطور والتقدم ، فقد كان حظ الآداب منها ـ على الاخص ـ اوفر الحظوظ، وقد كان ايضاً للثقافة الغربية ـ على وجه العموم ـ أثرها الكبير في تاريخ الادب العربي الحديث، ومن المحتم ان يأخذ كل قطر منها بدافع التأثر اما عن طريق الدراسة في المعاهد الغربية ، واما عن طريق الترجمة والنقل.

وقد أخذت هذه الاقطار من تلك الحركة التجديدية بنصيب وافر عن طريق التثقيف الذاتي ، اذ لم تهيء الظروف لابنائها في أول الامر الدراسة العالية في المعاهد والجامعات ،، فكان ان برز في كل قطر من هذه الاقطار نخبة من المثقفين الممتازين ، فكان منهم من ترى اسماءهم على صفحات المجلات الادبية في مختلف الاقطار العربية ، بما يؤثر لهم فيها من منظوم او منثور .

وقد كان لهذه الروح الادبية الطيبة المتجددة صدى بعيد واثر ذو قيمة في محيطنا الادبي، فقد انشئت من جرائها الصحف والمجلات الادبية ، فصدرت في جزيرة « أوال » منذ اعوام جريدة باسم « البحرين » وعمرت سنين ثم عطلت بوفاة صاحبها المرحوم عبدالله زائد ، وصدرت في الكويت مجلة باسم « الكويت » أنشأها المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد ثم قضت ظروف حياته بتعطيلها وهي ذاتها تعتبر اول صحيفة ظهرت على ضفاف الخليج الفارسي ، وقد اعاد صدورها في هذا العام ابنه الاستاذ يعقوب ، والى جانبها تصدر في الوقت الحاضر مجلتان : البعث . وكاظمه .. اما جزيرة البحرين ففيها تصدر الآن مجلات ثلاث : « الحلقه » وهي مجلة تصدرها جماعة من البعثة البحرينية في بيروت . و « أوال » وهي المجلة التي يصدرها تلاميذ المدرسة الشرقية ، و « صوت البحرين » وهي التي صدرت قبيل شهرين والتي يرجى لها ان تكون خير صحيفة تكشف عن مجالي النشاط الادبي في مختلف نواحي الخليج.

ولا بد من الاشارة في هذه الكلمة الى النشاط الادبي في شخصية الصديق الشاعر الاستاذ ابراهيم العريض صاحب ديوان «العرائس» الذي امتاز بقصصه الرائع ، ثم التنويه عن كتابه الجديد «الاساليب الشعرية» الذي طالعنا به في هذا العام ، والذي حاز على اعجاب وتقدير اشهر ادباء عصرنا الحاضر ، والحق انه قد وفق فيه الاستاذ العريض الى حد بعيد وقد تجلت به عبقريته لما فيه من جدة وابتكار وطرافة .

ويوجد في جزيرة اوال والقطيف والاحساء والكويت في الوقت الحاضر شعراء وادباء ممتازون جديرون بالذكر والاشادة، كالاستاذ حسن جواد الجشي. والاستاذ علي التاجر والشاعر عبد الرحمن المعاودة والشاعر السيد رضي الموسوي والشاعر ناصر ابو حميد والشاعر الاستاذ خالد الفرج والشاعر فهد العسكر والشاعر احمد الراشد المبارك والشاعر عبد الرسول الجشي والشاعر محمد سعيد الجشي والشاعر احمد الكوفي.

اما الحركة الادبية في حد ذاتها فهي تعد ـ على وجه العموم ـ في هذه الاقطار راكدة وفاقدة النشاط ، فهي تدب وئيداً في حين ان الاقطار العربية الاخرى وان لم تصل الى الغاية المرجوة منها ، فانها تخطو في هذا المضمار بخطى واسعة وموفقة، فاذا القينا ـ مثلا ـ نظرة خاطفة على هذه الكثرة الهائلة من المؤلفات التي تزخر بها المكتبة الحديثة في الوقت الحاضر فاننا نجد هذه الاقطار مع انتشار التعليم والحركة الادبية فيها ، لا تسهم مع

اخواتها الناطقة بالضاد في شيء يلفت النظر اللهم الا ما يطالعنا به الاستاذ العريض في هذه الاعوام الثلاثة الاخيرة .

ومن الملاحظ ايضاً ان الحركة الادبية في هذه الاقطار ليست — في الغالب — الا صدى للحركة الادبية في مصر ولبنان والعراق والمهجر ، تلقته هذه البلاد عن طريق الصحف الادبية والمطبوعات ، فليس فيها ادب اقليمي مستقل يتميز بطابعه الخاص ، واذا كان فيها ما يسمى « ادب » فهو ادب تقليدي ، ومهما يكن عليه من مسحة التجديد ، فهو لا يعدو في اغلب اطواره واحواله عن مرحلة المحاكاة والتقليد .

ولعل لعوامل الجو والمناخ والثقافة العالية اثراً ذا بال في وفرة النشاط وقيمة الانتاج ، وعلى كل فان هذه بوادر تبشر بمستقبل ادبي زاهر ، ولعل في مستقبل الزمن اذا ما تيسرت لابناء هذه البلاد العوامل الكافية والتثقيف العالي ان يكونوا على حالة مرضية ، وان يلتحقوا بركب الشعوب العربية السائر وان يضارعوا الاقطار الشقيقة في الرقي والتقدم .

القطيف - المملكة السعودية — محمد سعيد المسلم

الشاعر نعمة حاج ووكالة مجلة الأديب

•

ننقل هذه الكلمة الطيبة عن جريدة « البيان » الغراء التي تصدر في واشنطن شاكرين للأخ الحبيب الكاتب الناضل الاستاذ راجي ظاهر ما اسداه من خدمات قيمة للاديب مدفوعاً بحبه لمناصرة كل عمل يرى فيه قبسا من خدمة للامة العربية التي اوقف عليها قلمه وروحه متمنين «للبيان» المزيد الازدهار والتوفيق التي تستحقها جهود الصديق الكريم الذي كان له بمناصرته القيمة «للاديب» الفضل الاوفر في بقائها:

***

كان محرر هذه الجريدة لثلاث سنوات خلت وكيل مجلة «الاديب» الراقية التي يصدرها في بيروت صديقه الشاعر الملهم الاستاذ البير اديب . غير ان تكاثر الاعباء عليه بعد تسلمه زمام البيان اضطره الى الكتابة الى صديقه يقول له ان حمل صليب «البيان» يكفيه ويقترح عليه ان يحمل الصليب الآخر (الاديب) صديقهما الشاعر المجيد نعمه حاج المعروف بغيرته المتقدة على الاديب والادب فرضي باقتراحه كما رضي الشاعر نعمه .

فالمحرر يتمنى لمجلة الاديب في عهد وكيلها الجديد في الولايات المتحدة وكندا اجمل الاماني واصدقها وافيدها ويهنيء صديقه صاحبها بانضمام « دم جديد » الى اسرة مجلته الادبية .

ويسجل بالشكر لصديقه الشاعر نعمه هذا الفضل الجديد .

بقيت لنا كلمة وهي ان وكالة الشاعر نعمه تبتدىء بالسنة الجديدة فالاشتراكات المستحقة عن السنة الجارية ينبغي ان ترسل الى محرر البيان فهو وحده المسؤول عنها .

وفيما يلي عنوان الشاعر نعمه حاج لمن يرغب في الاتصال به :

Mr. N. A. Hodge 12 Vannoy St. Greenville, S. C. U.S.A.

المكتب الادبي المصري

•

أسس هذا المكتب الأدبي في نيويورك سنة ١٩٤٦ الدكتور أحمد زكي أبو شادي الأستاذ سابقاً بجامعة فاروق الأول على غرار « جمعية آداب اللغة العربية » التي أسسها بمدينة لندن سنة ١٩١٦ ، وكانت برئاسة الدكتور دافيد صموئيل مرجليوث أستاذ الأدب العربي سابقاً بجامعة اكسفورد .

وعن هذا المكتب صدرت بحوث ودراسات وآثار أدبية منوعة ظهرت في أمهات الصحف والمجلات العربية بامريكا والعالم العربي ، فضلا عن ترجمات قيمة واذاعات بالراديو .

وبعد أن استوفى الدكتور أبو شادي حياة علمية طويلة الى جانب حياته الأدبية ، يركز جهوده الآن في أمريكا في خدمة الأدب العربي عامة والأدب المصري خاصة ، وكان آخر آثاره الأدبية المطبوعة ديوانه الجديد من السماء .

وهو يشغل الآن مركز أستاذ الأدب العربي في معهد آسيا بنيويورك ، ومعظم طلبته من المستشرقات والمستشرقين في أمريكا ، كما أنه يتولى سكرتيرية رابطة منيرفا وهي على غرار جمعية أبوللو الشعرية التي اسسها بمصر منذ عشرين عاماً .

وهو في هذا الوضع وفي رئاسته للمكتب الادبي المصري يخدم حركة ادبية قوية لا يعود نفعها على مصر وحدها ، بل قد اذاع دعوة لادباء العربية في الاقطار المختلفة للتآزر معه للتنويه بآثارهم في عاصمة الدنيا ، وكذلك وجه مثل هذه الدعوة الى دور النشر والطبع والى المجامع اللغوية والمعاهد .

وفي طليعة الهيئات التي لبت هذه الدعوة وساهمت باهداء مطبوعاتها للمكتب مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، ودار الكتب المصرية بالقاهرة ، ومعهد مولاي الحسن بتطوان ، فضلا عن ادباء متعددين من اقطار شتى .

وقد علمنا ان جميع ما ارسل الى المكتب او الى رئيسه من مؤلفات او مطبوعات ادبية او لغوية او ثقافية عامة لقي الحفاوة التامة والتنويه به اما في المحاضرات او في المقالات او في الاذاعة .

فنحث ادباء العربية وشعراءها في شتى الاقطار ، وكذلك المؤسسات والمعاهد والمجامع المختلفة ، على الاشتراك في هذا التعاون الادبي المفيد ، وهذا عنوان الاستاذ ابو شادي في نيويورك :

Dr. A. Z. Nbushady President, The Egyptian Literary Bureau, 681 Madison Avenue, New York 21, N. Y. U.S.A.



٣٠ ديسمبر ١٩٥٠ - تقدمت القوات الشمالية في كوريا وانكفأت قوات الامم المتحدة الى مراكز جديدة وتحشد الجحافل الصينية استعداداً لعبور نهر الجين

٣١ - توفي الهر كارل رينر رئيس جمهورية النمسا.

اول يناير ١٩٥١ - تخلت قوات الامم المتحدة في كوريا عن خط الدفاع المقام على طول نهر الجين بعد ان تمكن الشماليون من عبوره وانسحبت الى مراكز جديدة متراجعة ٢٠ ميلا .

٢ - اعلنت الحكومة السوفياتية في ردها على الدول الغربية الثلاث بشأن الاجتماع الرباعي المرغوب فيه استعدادها للتفاوض في قضايا اخرى غير القضية الالمانية .

٣ - اكتسح ٣٠٠ الف صيني وكوري خط العرض ٣٨ وتتراجع قوات الامم المتحدة تراجعا عاما على طول الجبهة .

٤ - انسحبت قوات الامم المتحدة من سياوول وتركتها والنيران تشتعل فيها .

- صرح الرئيس ترومان بانه يجب اجتناب حرب عالمية جديدة وانه يأمل بان تحل جميع المشاكل بالطرق السلمية.

٥ - عقد في لندن مؤتمر رؤساء حكومات بلدان الكومنولث .

٦ - تواصل القوات الشمالية في كوريا اندفاعها في القطاع الاوسط ويزحف الصينيون نحو يوزان وقد استولوا على هونغشون وونجو

٧ - وصل الى باريس الجنرال ايزنهاور قائد عام قوات الحلف الاطلسي .

٨ - اعلن الرئيس ترومان في رسالته السنوية امام الكونجرس ان امريكا على استعداد لمفاوضة روسيا توصلا الى تسوية شريفة وقال اننا نستعد لكي يصبح بوسعنا اعلان تعبئة حرب كاملة اذا لزمت هذه التعبئة

٩ - اعلنت الصحف اللبنانية الاضراب العام حتى يعدل قانون المطبوعات الذي يقضي بتوقيف الصحفي رهن التحقيق .

١٠ - تواصل القوات الشمالية في كوريا ضغطها على طول الجبهة وفي الوسط استردت قوات الامم المتحدة بعض الارض على اثر هجوم معاكس بالقرب من «وونجو»

١١ - انتهت اعمال مؤتمر وزراء الكومنولث في لندن وقد وضع المؤتمر مشروعا جديداً لوقف القتال نهائيا في كوريا.

- اعلن الجنرال ايزنهاور ان الاتحاد السوفياتي يملك الان ١٧٥ فرقة عسكرية بينما لا يملك الحلفاء اكثر من سبعين فرقة.وذلك على اثر زيارته التي قام بها في مختلف بلدان الحلف الاطلسي .

١٢ - صرح الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرية ان المصلحة العامة تحتم عليه بعدم الادلاء بتصريحات عن المفاوضات التي اجراها في لندن والتي ستستأنف في القاهرة مع السفير البريطاني .

١٣ - توغلت القوات الشمالية الكورية داخل الخطوط الحليفة وقد عبرت نهرهان واصبحت على ٦٥ ميلا من يوزان .

١٤ - صرح نهرو في لندن بانه طرأت تغييرات كبرى على اسيا ويخشى ان لا يدرك مداها الاسيويون ولا الغربيون. وان اسيا تطلب الاعتراف بالمركز الجديد الذي تحتله في العالم .

١٥ - استردت قوات الامم المتحدة ثلاث مدن في كوريا اوزان وكوميانغ وجونغ ني.

- قدم الرئيس ترومان الموازنة الاميركية الى الكونغرس وقد اوصى بتسليم ادارة جميع الاعمال الى الحكومة لبناء القوة الدفاعية في امريكا وفي جميع الامم الصديقة وقد تضاعفت النفقات العسكرية والذرية اربع مرات .

١٦ - باءت بالفشل المحادثات التي جرت لانهاء الخلاف بين الهند والباكستان بشان كشمير رغم الجهود التي بذلها رؤساء وزارات الكومنولث في لندن .

١٧ - رفضت الصين مقترح وقف القتال في كوريا طالبة انسحاب القوات الحليفة وجلاء الاميركيين عن فرموزا وتمثيل الصين بهيئة الامم ويقترح وزير خارجية الصين في رده وجوب عقد مؤتمر سباعي يضم الصين والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا والهند ومصر لتسوية مشاكل الشرق الاقصى.

١٨ - اجتمعت اللجنة السياسية التابعة للامم المتحدة لدرس الموقف بعد جواب الصين واتخاذ القرار النهائي وقد طلبت امريكا اعتبار حكومة الصين معتدية واقترحت فرض العقوبات عليها .

١٩ - يواصل الجنرال ايزنهاور زيارته لدول الحلف الاطلسي ، وقد استقبل في ايطاليا بمظاهرات عدائية .

- دخلت قوات الامم المتحدة مدينة وانجو في كوريا دون ان تشتبك مع الشماليين ثم عادت فانسحبت منها، اما في القسم الشرقي من الجبهة فيدور قتال عنيف في منطقة يونغول.

٢٠ - بدأت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية عقد اجتماعاتها في القاهرة وتضم الوفود رؤساء وزراء الدول العربية لأهمية الابحاث

- طلبت وفود عربية واسيوية في اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الامم التريث قبل اعلان الصين دولة معتدية .

٢١ - بعد ان انسحبت القوات الحليفة من ونجو عادت الجبهة الوسطى للاشتعال بعد ان قام الشماليون بحركة تطويق اضطرت قوات الحلفاء للتراجع .

- القى الرئيس ترومان خطابا عنيفا جمع فيه بين ستالين وهتلر وموسوليني ولويس الرابع عشر وغيرهم من رؤساء الدول السابقين على صعيد واحد في التهمة وذكر ستالين بالذات وشبهه بالطغاة الاباطرة في العهود القديمة والحديثة

٢٢ - وردت برقية على ممثل الهند في لايك سكسيس تعلن قبول حكومة الصين بوقف اطلاق النار على ان يعقد اجتماع لفض المنازعات وفقا لمطالب الصين السابقة .

٢٣ - تثير زيارة المستر تشرشل التي يقوم بها لفرنسا اهتمام الاوساط لاسيما انه جرت مقابلات بينه وبين رئيس الوزراء ووزير الدفاع والماريشال مونتغمري .

٢٤ - ترقب الدوائر السياسية والعسكرية باهتمام نتائج ما اعلنه المفوض السامي البريطاني في المانيا ووافق عليه المندوب السامي الاميركي اذ اعلنا ان الوقت قد حان لاعادة محاكمة الزعماء الالمان السبعة المحكومين في نورمبرغ.

- استعادت القوات الدولية مدينة ونجو في كوريا وتقدمت ٣٠ ك م شمالي المدينة.